

كتب الفراشة - القصص العالمية



الشباب



كتب الفراشة - القصص العالمية

الشباب



أعاد حكايتها : الدكتور ألبير مطبق
عن قصته جوزف كونراد



مكتبة لبثان ناشرون

مَكْتَبَةُ لُبْنَانِ نَاشِرُونَ ش.م.ل.

زقاق البلاط - ص.ب. ٩٢٣٢ - ١١

بَیروت - لُبْنَان

وُكلاء ومُوزَّعون في جميع أنحاء العالم

© الحُقوق الكاملة محفوظة

لِمَكْتَبَةِ لُبْنَانِ نَاشِرُونَ ش.م.ل.

الطبعة الأولى ١٩٩٤

رقم الكتاب 01 C 196810

طُبِعَ في لُبْنَانِ



مقدمة

«الشباب» هي قصة بحار شاب يقوم برحلته الأولى إلى الشرق الأقصى على متن سفينة تجارية. تصف الرواية مشاعر وآمال الفتى مارلو وهو ينتظر إقلاع السفينة إلى تلك الأماكن البعيدة الغريبة. وتعرف إلى القبطان العجوز المتعلق بسفينته القديمة، التي برزت أمامها سلسلة من العقبات قبل أن تتمكن من الانطلاق، أخيراً، نحو المحيط الهندي، ووجهتها النهائية بانكوك.

تواجه البحارة، خلال الرحلة، مصاعب كثيرة: كان عليهم الاقتناع بالقليل من الطعام والماء وتحمل أحداث طارئة تهدد حياتهم، فكانهم كانوا في امتحان متواصل لصلاية عزيمتهم وقدرتهم على التحمل. وتبرز أمامنا الأسئلة متلاحقة: هل سيظلون في سفينتهم المهددة بالغرق، أم سيهجرونها طلباً للسلامة؟ هل سيتعاونون فيما بينهم أم سيسعى كل منهم للنجاة بنفسه؟ وهل سيتغلب لديهم الأمل والرجاء على اليأس والقنوط؟

ولا تكفي الرواية بدراسة عقلية ونفسية البحارة فحسب، ففيها تعمق بدراسة شخصية مارلو وتطورها. فهو أصغر الضباط سناً، وقلبه الشاب المندفع عامر بالآمال العظام وبحب الحياة؛ وهذا ما يجعله في تعارض دائم مع آراء غيره ممن هم أكبر منه سناً. ورواية القصة هو مارلو نفسه،

عِنْدَمَا أَصْبَحَ عَجُوزًا. لَإِذَا نَرَاهُ يَسْتَعِيدُ سِنِيهِ الْغَابِرَةَ فِي الْبَحْرِ بِحَنِينٍ وَشَغَفٍ
مُعْتَبِرًا أَيَّاهَا أَجْمَلَ أَيَّامِ حَيَاتِهِ.

يَمْتَّازُ أُسْلُوبُ السَّرْدِ فِي «الشَّبَابِ» بِالْوَاقِعِيَّةِ الْحَمِيمَةِ وَالْحَيَوِيَّةِ الْمُعْبَرَةِ عَنْ
كُلِّ تَفَاصِيلِ تِلْكَ الرِّحْلَةِ الصَّعْبَةِ. وَمِنْ الصُّوَرِ الْمُثِيرَةِ، مَثَلًا، مَشْهَدُ الدَّمَارِ
وَالْخَرَابِ بَعْدَ حُدُوثِ الْانْفِجَارِ الْمُدَوِّي عَلَى مَتْنِ السَّفِينَةِ، وَتِلْكَ اللَّحْظَةُ الَّتِي
تَوَارَتْ فِيهَا السَّفِينَةُ الْمُتَهَيِّبَةُ تَحْتَ الْأَمْوَاجِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ.

وَلَعَلَّ بَرَاعَةَ جُوزَفِ كُونَرَادِ فِي نَقْلِ الصُّوَرِ الرَّائِعَةِ وَإِثَارَةِ الْعَاطِفَةِ تَعُودُ إِلَى
خِبْرَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ فِي حَيَاةِ الْبَحْرِ. فَهُوَ كَانَ قَدْ تَرَكَ مَوْطِنَهُ وَهُوَ فِي السَّابِعَةِ
عَشْرَةَ، وَقَضَى زُهَاءَ عِشْرِينَ سَنَةً يَعْمَلُ فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ جَاءَ عَامَ ١٨٩٤ إِلَى
إِنْكِلْتَرَا حَيْثُ اسْتَقَرَّ وَبَدَأَ بِالْكِتَابَةِ. كَانَ كُونَرَادُ، كَالْبَحَّارِ مَارْلُو وَكَأَبْنَاءِ الْعَصْرِ
الْفِكْتُورِيِّ عُمُومًا، شَغُوفًا بِالْبَحْرِ وَبِالْمِلَاحَةِ إِلَى الْأَمَاكِينِ الْقَصِيَّةِ. وَقِصَّةُ الْبَحَّارِ
مَارْلُو تَحْمِلُ كَثِيرًا مِنْ سِمَاتِ حَيَاةِ كُونَرَادِ نَفْسِهِ، وَهَذَا مَا جَعَلَهَا فَائِزَةً الْإِيْحَاءِ
بِالِغَةِ التَّأْثِيرِ.



الشَّكَّابُ

كُنَّا خَمْسَةً مِنَ الْأَصْحَابِ. اجْتَمَعْنَا حَوْلَ طَاوِلَةٍ فَخَمَةٍ لَمَاعَةٍ تَعْكِسُ
وُجُوهَنَا ، وَرُحْنَا نَتَسَامَرُ وَنَسْتَرْجِعُ الذُّكْرِيَّاتِ .

كَانَ الْأَوَّلُ مُدِيرًا فِي إِحْدَى الشَّرِكَاتِ التِّجَارِيَّةِ الْكَبِيرَةِ ، وَالثَّانِي مُحَاسِبًا
خَدَمَ فِي الْبَحْرِ سَنَوَاتٍ ، وَالثَّلَاثُ مُحَامِيًا مَسْئُولًا فِي مَصْلَحَةِ الْبَرِيدِ ، أَيَّامَ كَانَ
الْبَرِيدُ يُحْمَلُ عَبْرَ الْبِحَارِ فِي مَرَاكِبَ شِرَاعِيَّةٍ تَصِلُ حَتَّى بَحْرِ الصِّينِ . أَمَّا الرَّابِعُ
وَالْخَامِسُ فَكَانَا أَنَا وَمَارْلُو .

وَكَانَ مَا جَمَعَنَا هُوَ أَنَّنَا ، نَحْنُ الْخَمْسَةُ ، بَدَأْنَا حَيَاتَنَا فِي الْأَسْفَارِ
التِّجَارِيَّةِ ، لِذَا كَانَتْ تَرْتِيبُ بَيْنَنَا رَابِطَةً الْبَحْرِ الْقَوِيَّةَ وَتَجْمَعُنَا الْعَاطِفَةُ الصَّادِقَةُ
الَّتِي يَكُونُهَا الْبَحَارَةُ الْمُحْتَرِفُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ . وَلَا يَعْرِفُ هَذِهِ الرَّابِطَةُ أَوْلَئِكَ
الَّذِينَ يَقُودُونَ الْيُخُوتَ مُتَزَهِّينَ ، أَوْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَجُوبُونَ الْبِحَارَ فِي سَفُنِ
السِّيَاحَةِ ، أَيًّا كَانَتْ حِمَاسَتُهُمْ ، فَالْبَحْرُ لِلْهُوَا لَيْسَ إِلَّا وَسِيلَةً تَسْلِيَّةً فِي الْحَيَاةِ ،
أَمَّا لِلْبَحَارَةِ الْمُحْتَرِفِينَ ، فَالْبَحْرُ هُوَ الْحَيَاةُ .

وَفِي جَوْ الذُّكْرِيَّاتِ ذَلِكَ رُحْنَا نُصْغِي إِلَى إِحْدَى قِصَصِ الْبَحْرِ الْمُثِيرَةِ
يُرْوِيهَا لَنَا مَارْلُو :



نَعَمْ لَقَدْ عَرَفْتُ بِحَارَ الشَّرْقِ. لَكِنَّ الرِّحْلَةَ الْأُولَى إِلَى تِلْكَ الْبِحَارِ كَانَتْ أَشَدَّ الرِّحَلَاتِ أَثْرًا فِي نَفْسِي. فَقَدْ عَمِلْتُ فِيهَا ، لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ، ضَابِطًا ثَانِيًا فِي الْبَحْرِ ، كَمَا وَجَدْتُ نَفْسِي فِيهَا قَائِدًا لِأَحَدِ الزَّوَارِقِ.

وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِعْتِرَافِ أَنَّهُ كَانَ عَلَى قُبْطَانِ السَّفِينَةِ أَنْ يَسْتَظِرَّ طَوِيلًا قَبْلَ أَنْ يَنَالَ شَرَفَ الْقِيَادَةِ. كَانَ قُبْطَانُنَا فِي السَّيْنِ مِنْ عُمْرِهِ. وَكَانَ رَجُلًا ضَخِيلَ الْجِسْمِ ذَا ظَهْرٍ عَرِيضٍ مَحْنِيٍّ وَكَتِفَيْنِ مُقَوَّسَيْنِ وَسَاقٍ أَشَدَّ تَقْوُسًا مِنَ الْأُخْرَى. وَكَانَ وَجْهُهُ أَشْبَهَ بِكَسَارَةِ الْبُنْدُقِ ، فَقَدْ بَدَأَ ذَقْنُهُ وَأَنْفُهُ وَكَانَهُمَا يَسْعَانِ لِلِاجْتِمَاعِ مَعًا فَوْقَ فَمِهِ الْغَارِقِ. وَكَانَ يُرْوِزُ سِهَاتِهِ تِلْكَ شَعْرٌ رَمَادِيٌّ زَغَبٌ. أَمَّا عَيْنَاهُ فَكَانَتَا زَرْقَاوَيْنِ ، يُدْهِشُكَ فِيهِمَا أَنَّهُمَا تُسْعَانِ فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ الْعَجُوزِ كَمَا تُشْعُ عَيْنُونَ الْأَطْفَالِ.



لَمْ أَعْرِفْ كَيْفَ قَبْلَ بِي فِي عِدَادِ بَحَارَتِهِ. فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ ضَابِطًا ثَالِثًا فِي إِحْدَى سَفُنِ الشَّحْنِ الْكَبِيرَةِ السَّرِيعَةِ. وَكَانَ هُوَ يَنْظُرُ إِلَى تِلْكَ السَّفُنِ نَظْرَةً شَكًّا وَيَعْتَبِرُهَا أَرِسْتَقْرَاطِيَّةً مُتَعَالِيَةً.

قَالَ لِي: «تَعْرِفُ أَنَّ عَلَيْكَ فِي هَذِهِ السَّفِينَةِ أَنْ تَعْمَلَ». أَجَبْتُهُ أَنَّهُ كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَ فِي كُلِّ سَفِينَةٍ خَدَمْتُ فِيهَا. قَالَ: «لَكِنَّ الْوَضْعَ مُخْتَلِفٌ فِي سَفِينَتِي. عَلَى أَيِّ حَالٍ ، تَبْدُو لِي شَابًّا نَشِيطًا ، إِنْ تَحَقَّقَ غَدًا بِالسَّفِينَةِ».



التَحَقَّتْ في اليَوْمِ التَّالِي بِالسَّفِينَةِ. حَدَثَ ذَلِكَ قَبْلَ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ
عَامًا ، وَكُنْتُ في العِشْرِينَ من عُمْرِي آنَ ذَاكَ. لَمْ أَعْرِفْ في حَيَاتِي سَعَادَةً
كَتِلْكَ الَّتِي عَرَفْتُهَا في ذَلِكَ اليَوْمِ. تَخَيَّلُوا ! الضَّابِطُ الثَّانِي ، لِأَوَّلِ مَرَّةٍ في
حَيَاتِي - إِنَّهَا مَسْئُولِيَّةٌ خَطِيرَةٌ.

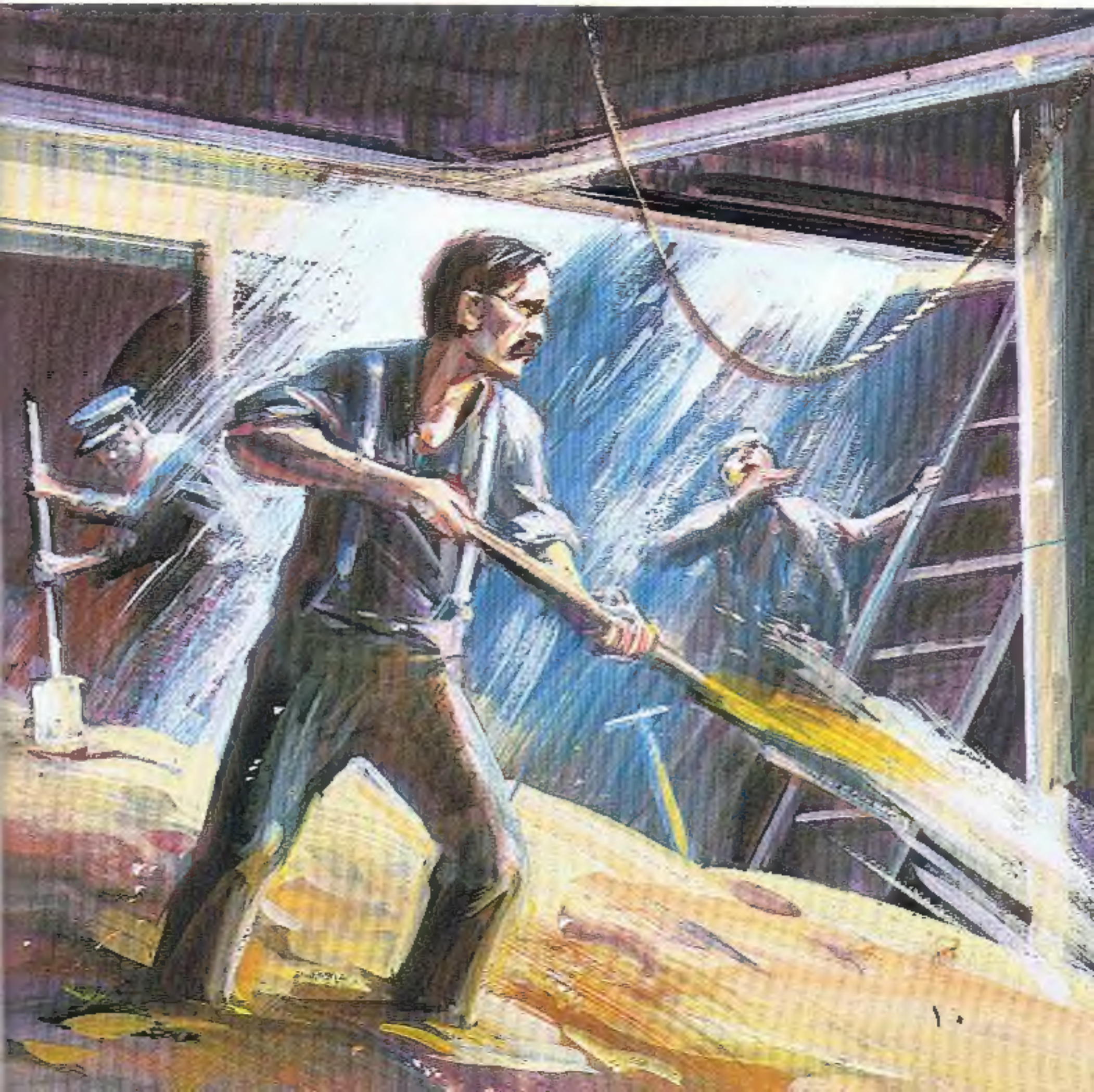
تَفَحَّصَنِي الضَّابِطُ الْأَوَّلُ مَلِيًّا. كَانَ عَجُوزًا أَغْوَجَ الْأَنْفِ أَيْضًا اللَّحْيَةِ ،
اسْمُهُ مَاهُون. وَكَانَ مَاهُونٌ ذَا اتِّصَالَاتٍ وَاسِعَةٍ بِشَرِكَاتِ الْبَحْرِ وَذَا خِبْرَةٍ
وَنَشَاطٍ ، لَكِنَّهُ سَوَاءُ الطَّالِعِ لِأَزْمَةِ طَوَالَ حَيَاتِهِ الْبَحْرِيَّةِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ تَجَاوُزَ الرُّتْبَةِ
الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا.

وَكَانَتِ السَّفِينَةُ عَنِيْقَةً. تُرِكَتْ دُونَ إِحْبَارٍ أَوْ صِيَانَةٍ سَنَوَاتٍ ، فَتَخَيَّلُوا
كَيْفَ كَانَ حَالُهَا. لَمْ تَكُنْ في الْوَاقِعِ إِلَّا كُتْلَةً مِنَ الصِّدَا وَالْغُبَارِ وَالْوَسْخِ
وَالسُّخَامِ.

بَدَأَ الْأَمْرُ لِي كَالْإِتِّقَالِ مِنْ قَصْرِ عَظِيمٍ إِلَى كُوخٍ مُتَهَدِّمٍ. كَانَتْ تَرْنُ
نَحْوَ أَرْبَعِمِئَةِ طُنٍّ. وَكَانَ عَلَيْهَا مِرْفَاعٌ بُدَائِيٌّ لِلْمِرْسَاةِ. وَنُقِشَ عَلَى مَوْخَرَتِهَا
الْمُرَبَّعَةِ شِعَارٌ يَقُولُ : «إِعْمَلْ أَوْ مِتْ». أَسْرَنِي ذَلِكَ الشَّعَارُ مِنْ فَوْرِي ، وَرَأَيْتُ
فِيهِ شَيْئًا مِنَ التَّرْوَعِ إِلَى الْمُغَامَرَةِ اسْتَهْوَى شَبَابِي ، وَجَعَلَنِي أُعَشِّقُ تِلْكَ السَّفِينَةَ
الْعَجُوزَ !



حَمَلْنَا السَّفِينَةَ بِالرَّمْلِ حِفَاطًا عَلَى تَوَازُنِهَا ، وَغَادَرْنَا لَنْدَنَ فِي اتِّجَاهِ مَرَفَأِ
شَمَالِيٍّ لِنَأْخُذَ مِنْ هُنَاكَ شِحْنَةً مِنَ الْفَحْمِ نُبَحِّرُ بِهَا إِلَى بَانْكُوكَ . لَقَدْ أَثَارَ لَفْظُ
بَانْكُوكَ حِمَاسِي . فَقَدْ كُنْتُ عَرَفْتُ الْبَحْرَ سَنَوَاتٍ سِتًّا ، لَكِنِّي لَمْ أَزُرْ فِي رِحْلَاتِي
الطَّوِيلَةِ إِلَّا سِدْنِي وَمِلْبُورَنَ . وَهَاتَانِ مَدِينَتَانِ رَائِعَتَانِ ، لَكِنَّ لَيْسَ فِيهِمَا سِحْرُ
بَانْكُوكَ الَّذِي نَجِدُهُ حَتَّى فِي الْإِسْمِ نَفْسِهِ .



إِسْتَغْرَقَتِ الرَّحْلَةُ إِلَى ذَلِكَ الْمِيناءِ الشَّالِيِّ الْوَاقِعِ عَلَى سَاحِلِ إِنْكِلَرَا
الشَّرْقِيِّ أُسْبُوعًا كَامِلًا. لَكِنْ هَبَّتْ عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ عَلَى مَشَارِفِ الْمِيناءِ ، عَاصِفَةٌ
هُوَجَاءُ مُدْمَرَةٌ.

إِسْتَدَّتِ الرِّيحُ هُبُوبًا ، وَتَعَاطَمَتِ أَضْوَاءُ الْبَرْقِ ، وَتَسَاقَطَ الثَّلْجُ بِكَثَافَةٍ ،
وَارْتَفَعَتِ الْأَمْوَاجُ كَالْجِبَالِ. وَلَمَّا كَانَتْ سَفِينَتُنَا شِبْهَ فَارِغَةٍ فَقَدْ رَاحَتِ
الْأَمْوَاجُ تَتَقَاذَفُهَا وَحَطَّمَتِ مُعْظَمَ مَا كَانَ عَلَى مَتْنِهَا.

فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْعَاصِفَةِ انْجَرَفَتِ شِحْنَةُ الرَّمَالِ إِلَى جَانِبٍ وَاحِدٍ مِنَ
الْعَنْبَرِ ، وَجَنَحَتِ السَّفِينَةُ إِلَى جَانِبٍ رَمْلِيٍّ مِنَ الشَّاطِئِ. وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَنَا إِلَّا
النُّزُولُ إِلَى الْعَنْبَرِ ، وَاسْتِعْمَالُ مَجَارِفِنَا فِي إِعَادَةِ الرَّمَالِ إِلَى مَكَانِهَا الصَّحِيحِ
الَّذِي يُؤْمَنُ تَوَازُنَ السَّفِينَةِ.

رُحْنَا نَعْمَلُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الْوَسِيعِ ، الْمُعْتِمِ كَالْكَهْفِ ، وَسَطَ أَضْوَاءِ
الشُّمُوعِ الْمُتَرَاقِصَةِ. وَكَانَتِ الْعَاصِفَةُ لَا تَزَالُ تَهْدُرُ هَدِيرًا شَدِيدًا وَتَضْرِبُ
سَفِينَتَنَا الَّتِي رَاحَتِ تَهْتَزُّ كَمَنْ أُصِيبَ بِمَسٍّ مِنَ الْجُنُونِ. وَكُنَّا جَمِيعُنَا هُنَاكَ ،
الْقُبْطَانُ ، وَالضَّابِطُ الْأَوَّلُ وَسَائِرُ الْبَحَّارَةِ. وَكَانَ الْوَاحِدُ مِنَّا يَكَادُ لَا يَقْوَى عَلَى
الثَّبَاتِ فِي مَكَانِهِ ، وَقَدْ انْهَمَكْنَا كُلُّنَا فِي نَقْلِ الرَّمَالِ الْمُبْتَلَّةِ مِنْ جَانِبٍ إِلَى آخَرَ.

وَكَلَّمَا كَانَتِ السَّفِينَةُ تَمِيلُ كُنَّا نَتَسَاقَطُ أَرْضًا كَمَا تَتَسَاقَطُ الْقَنَانِي إِذَا
أَصَابَتْهَا كُرَّةٌ. وَقَدْ أَفْزَعَ ذَلِكَ الْأَمْرُ بَحَّارًا غَرًّا مِنْ بَحَّارَةِ السَّفِينَةِ فَأَغْرَقَ
فِي الْبُكَاءِ. وَظَلَّ صَوْتُ انْتِحَابِهِ يَصِلُ إِلَيْنَا مِنْ بَعْضِ الْجَوَانِبِ الْمُعْتِمَةِ طَوَالَ
انْهَمَاكِنَا فِي الْعَمَلِ.



حَالًا وَقَعَتْ عَيْنَاهَا عَلَيَّ أَثْبَتُ زِرًّا مِنْ أَرْزَارِ قَمِيصِي فِي مَكَانِهِ ، أَقْسَمْتُ
نَحْوِي وَأَصْرَتُ أَنْ تَقُومَ بِإِصْلَاحِ قَمِيصَانِي كُلِّهِ . وَعِنْدَمَا جِئْتُهَا بِالْقَمِيصَانِ ،
سَأَلْتَنِي عَنْ الْحَوَارِثِ قَائِلَةً : « لَا شَكَّ أَنَّهَا كُنْهَاتُ نَحْتِاحٍ إِلَى إِصْلَاحٍ . لَقَدْ
أَصْلَحْتُ ثِيَابَ رُوحِي حَوْلَ كُلِّهَا ، فَيَسُرُّنِي أَنْ أَشْعَلَ وَقْتِي بِشَيْءٍ مُفِيدٍ . » سَرَّكَ
اللَّهُ تِلْكَ الْعَجُورَ . لَقَدْ أَصْلَحْتُ كُلَّ مَا فِي صُدُوقِي مِنْ ثِيَابٍ ، وَتَرَكْتُ لِي وَقْتًا
لِلْقِرَاءَةِ .

فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ هَدَّتْ الْعَاصِفَةُ . وَبَعْدَ حِينَ قُطِرْنَا إِلَى الْمِينَاءِ ، لَكِنَّا كُنَّا
قَدْ حَسِرْنَا دَوْرَنَا فِي الشَّحْنِ ، وَكَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَظِرَ شَهْرًا قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ دَوْرُنَا
الْجَدِيدُ .

جَاءَتِ السَّيِّدَةُ بِيرْدُ ، رُوحَةُ الْقُطَانِ . مِنْ مَدِينَةٍ قَرِيبَةٍ لَتَرَى رُوحَهَا .
كَانَتْ عَجُورَ ، ذَاتَ وَجْهِ أَحْمَرَ كَتَفَاحِ الشَّتَاءِ ، وَحَسَدٍ رَشِيقٍ كَأَجْسَادِ

بَصَايَا

أَحْيَا حُمَلَتْ سَفِينَتَا بِالْفَحْمِ . أَخَذْنَا مَعًا ثَابِتَةً بِحَارَةِ قَادِرِينَ وَصِيَّينَ
لِلْأَعْمَالِ الْبَسِيطَةِ . فِي الْمَسَاءِ أَبْهَرْنَا صَوْتِ عَوَامَاتِ الْإِرْشَادِ عِنْدَ مَدْخَلِ
الْمِيَاءِ يَخْدُونَ الْأَمْلَ بِنَدْوِ رِحَّتِنَا الطَّوِيلَةِ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي . وَنَقِيتِ السَّيِّدَةَ
بِيرْدٍ مَعَنَا عَلَى أَنْ تَتْرُكَ عِنْدَ مَوْعِدِ الْقِطَارِ اللَّيْلِيِّ الْأَخِيرِ .

نَزَلْتُ أَتَوَلُّ الْعِشَاءَ ، ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ أَتَأَمَّلُ أَضْوَاءَ سَفُنِ
الْفَحْمِ الَّتِي كَانَتْ تَدْخُلُ الْمِيَاءَ وَتَخْرُجُ مِنْهُ . وَكُنْتُ أَسْمَعُ قَرْقَعَةَ رَوَاقِعِ بَلْكَ
السَّفُنِ وَتَصْفِيقَ مَرَاوِجِهَا .

بَيْنَمَا كُنْتُ أَتَأَمَّلُ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ بِسُرُخَاءِ ، لَمَحْتُ ضَوْءًا أَحْمَرَ حَاطِفًا .
ثُمَّ رَأَيْتُ ذَلِكَ الضَّوْءَ يَعُودُ وَلَا يَخْتَفِي هَذِهِ الْمَرَّةَ . وَبَعْدَ لَحْظَةٍ لَاحَ لِي طَيْفُ
سَفِينَةٍ بُخَارِيَّةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ سَفِينَتِنَا .

صَحْتُ مُنَادِيًا الْقُبْطَانَ فِي قَسْرَتِهِ : «إِضْعَدْ ، حَالًا !» ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتًا
مُضْطَرِبًا يَصِيحُ فِي الظَّلَامِ : «أَوْقِفْهَا ، يَا سَيِّدِي !»

عَلَا صَوْتُ حَرَسِ السَّفِينَةِ وَسَمِعْنَا صَوْتًا آخَرَ يَصْرُخُ مُحَذِّرًا .
«سَنَصْطَلِدُ بِتِلْكَ السَّفِينَةِ ، يَا سَيِّدِي !»



لَمْ أَسْمَعْ جَوَابًا عَلَى ذَلِكَ التَّحذِيرِ ، إِلَّا صَوْتًا أَجَشَّ يَتِمُّ بِبُضْعِ
كَيْمَاتٍ . ثُمَّ تَلَا ذَلِكَ صَوْتُ شَدِيدٌ نَاتِجٌ عَنْ ضُطْدَامِ جَانِبِ السَّفِينَةِ الْبُخَارِيَّةِ
بِنَا . وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ مِنَ الْفَوْضَى وَالصَّرَاخِ وَأَصْوَاتِ أَقْدَامٍ تَجْرِي وَهْدِيرِ الْبُخَارِ



الْمُفْلَتِ مِنَ السَّفِينَةِ الْبُخَارِيَّةِ ، جَاءَنِي صَوْتُ أَجَشٍّ قَتِلًا . «أَأَنْتُمْ بِخَيْرٍ؟»
كُنْتُ قَدْ جَرَيْتُ أَنْفَحَصُ الْعَطَبِ الَّذِي أَصَابَ السَّفِينَةَ ، فَصِخْتُ .
«أَطْرُ أَنَا بِخَيْرٍ» .

صاح الصوتُ الأجَشُّ : «إلى الورا قليلًا» .

ثُمَّ عَلَا صَوْتُ لَجَرَسٍ ثَابِتٍ . وَزَعَقَ مَاهُونُ : «أَيُّ سَفِينَةٍ هَذِهِ؟»
لَكِنَّ السَّفِينَةَ الْبُخَارِيَّةَ كُنْتُ فِي هَذَا الْوَقْتِ قَدْ أَخَذْتُ تَبَتُّعًا عَنَّا بِطُءٍ ،
وَلَمْ يَعُدْ يَبْدُو مِنْهَا فِي الظُّلَامِ غَيْرُ شَيْءٍ يَتَحَرَّكُ
تَمَّتْ مَاهُونُ يَقُولُ لِي ، وَنَحْنُ نَحْدَقُ ، عَلَى صَوْتٍ قَتِيلٍ ، بِالْأَضْرَارِ الَّتِي
خَلَفَهَا التَّصَادُّمُ : «ذَلِكَ يَعْنِي شَهْرًا مِنَ التَّأَخِيرِ» .





كَانَ لِقُبْطَانُ فِي هَذِهِ الْأَثَدِ قَدْ جَرَى يَتَحَثُّ عَنْ زَوْجَتِهِ . قَبْلَ أَنْ يَتَوَحَّهَ
إِلَى مَرْكَزِهِ فِي السَّفِينَةِ ، طَمَّ مَهْ أَلِ السَّفِينَةَ غَرِيقَةً وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُنْقِذَ زَوْجَتَهُ
بِإِزَالِهَا إِلَى رَوْرَقِ نَحَاةٍ .

نَدَا الْقُبْطَانُ عِنْدَ عَوْدَتِهِ إِلَيْهَا مُخْرِجًا ، أَمَّا زَوْجَتُهُ الَّتِي وَجَدَهَا سَابِمَةً فَقَدْ
قَالَتْ بِمَرْحٍ : « أَظُرُّ ، لَا تَأْسَ الْآنَ لَوْ تَأَخَّرْتُ عَلَى الْقِطَارِ . »

قَالَ الْقُبْطَانُ بِصَوْتٍ مُدْمِمٍ . « أَنْزِلِي الْآنَ وَاسْتَدْفِينِي . » ثُمَّ التَقَتَا إِلَيْنَا
وَقَالَ مُتَمَتِّمًا : « لَيْسَ لِزَوْجَةِ السَّحَارِ مَكَانٌ عَلَى مَتْنِ سَفِينَتِهِ . فَهِيَ أَنَا قَدْ تَرَكْتُ
مِنْ أَجْلِهَا مَرْكَزَ عَمَلِي . مِنْ حُسْنِ الْحَظِّ لَمْ يَتَّخِ عَنْ ذَلِكَ صَرَرُ هَذِهِ الْمَرْءِ .
تَعَالَوْا الْآنَ رَمَّا فَعَلْتُ بِنَا تِلْكَ السَّفِينَةَ الْبُخَارِيَّةَ الْحَمَقَاءُ . »

لَمْ يَكُنِ الْعُطْلُ بِالْعَا ، لَكِنَّهُ أَخْرَبَا ، عَلَى كُلِّ حَالٍ ، ثَلَاثَةَ أَسَابِيحٍ . وَقَدْ
صَبَّ إِلَيْنَا فِي نِهَائِهِ هَذِهِ الْمُدَّةَ مُرَافَقَةً لِسَيِّدَةٍ بِيَرْدٍ إِلَى مَحَطَّةِ الْقِطَارِ .
قَالَتْ لِي : « أَنْتَ شَابٌ صَالِحٌ . أَرْحُوكِ اعْتَنِ بِزَوْجِي جُون . »
أَجَبْتُهَا ، وَأَنَا أَرْفَعُ طَائِفَتِي احْتِرَامًا : « حَاضِرٌ يَا سَيِّدَتِي ! »
وَكَانَتْ تِلْكَ آخِرَ مَرَّةٍ أَرَاهَا فِيهَا .

أُحْرْنَا فِي الْيَوْمِ التَّالِي ، وَعَنَابَرْنَا مَمْلُوءَةً بِالْفَحْمِ ، قَاصِدِينَ بِأَكْوَاك بَعْدَ
 أَنْ تَأَخَّرْنَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ . كَمَا فِي شَهْرِ كَابُونِ الثَّانِي (بَابِر) ، غَيْرَ أَنَّ الطَّقْسَ كَانَ
 جَمِيلًا مُشْمِسًا فَرِيدًا . وَقَدْ لَازَمْنَا الطَّقْسَ الْبَدِيعَ إِلَى أَنْ صِرْنَا عَلَى مَسَافَةِ
 خَمْسِمِئَةِ كِيلُومِترٍ غَرْبَ جُزُرٍ لِيَزْدَ . وَسُرْعَانِ مَا تَبَدَّلَتِ الرِّيحُ وَهَبَتْ عَلَيْنَا
 عَاصِفَةً هَوَاجًا .

رَاحَتُ سَفِينَتُنَا تَتَرَقَّصُ بَيْنَ أَمْوَاجِ الْمُحِيطِ لِأَطْلَسِي . وَكَأَنَّهَا صُدُوقُ
 مُهْتَرِي . وَهَبَتِ الرِّيحُ دُونَ هَوَادَةٍ ، يَوْمًا نَعْدِي يَوْمٍ . وَلَمْ نَكُنْ نَرَى مِنْ حَوْلِنَا إِلَّا
 زَبَدَ الْأَمْوَاجِ الْهَائِلَةِ الْمُتَلَاطِمَةِ ، وَالسَّمَاءَ الْمُكْهَمَرَةَ الْعَاصِفَةَ الَّتِي تَبْدُو وَكَأَنَّهَا
 تَكَادُ تُطْبِقُ عَلَى رُؤُوسِنَا .

مَرَّتْ يَوْمَ وَلِيَالٍ لَمْ نَعْرِفْ فِي أَثْنَائِهَا الرَّاحَةَ ، وَلَا سَفِينَتُنَا عَرَفَتْهَا . رَاحَتِ
 السَّفِينَةُ تَقْلِبُ عَلَى جَنْبِهَا أَوْ مُؤَخَّرَتِهَا أَوْ مُقَدَّمَتِهَا أَوْ تَتَدَفَّعُ مَعَ الْأَمْوَاجِ انْدِفَاعًا
 مَجْنُونًا هَابِطَةً صَاعِدَةً . وَهِيَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ تَتَنُّ أَيْنًا مُوجِعًا . وَكَانَ عَلَيْنَا أَنْ
 تَتَمَسَّكَ بِمَا حَوْلَنَا تَمَسُّكَ الْبَائِسِينَ سِوَاءَ كُنَّا فَوْقَ سَطْحِ لِسَفِينَةٍ أَوْ فِي دَاخِلِهَا .





أَيَقْظَنِي مَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ بِعَصِيَّةٍ ، وَقَالَ لِي : « الْمِصْخَاتُ لَا تَعْمَلُ . يَا

مَارْلُو . »

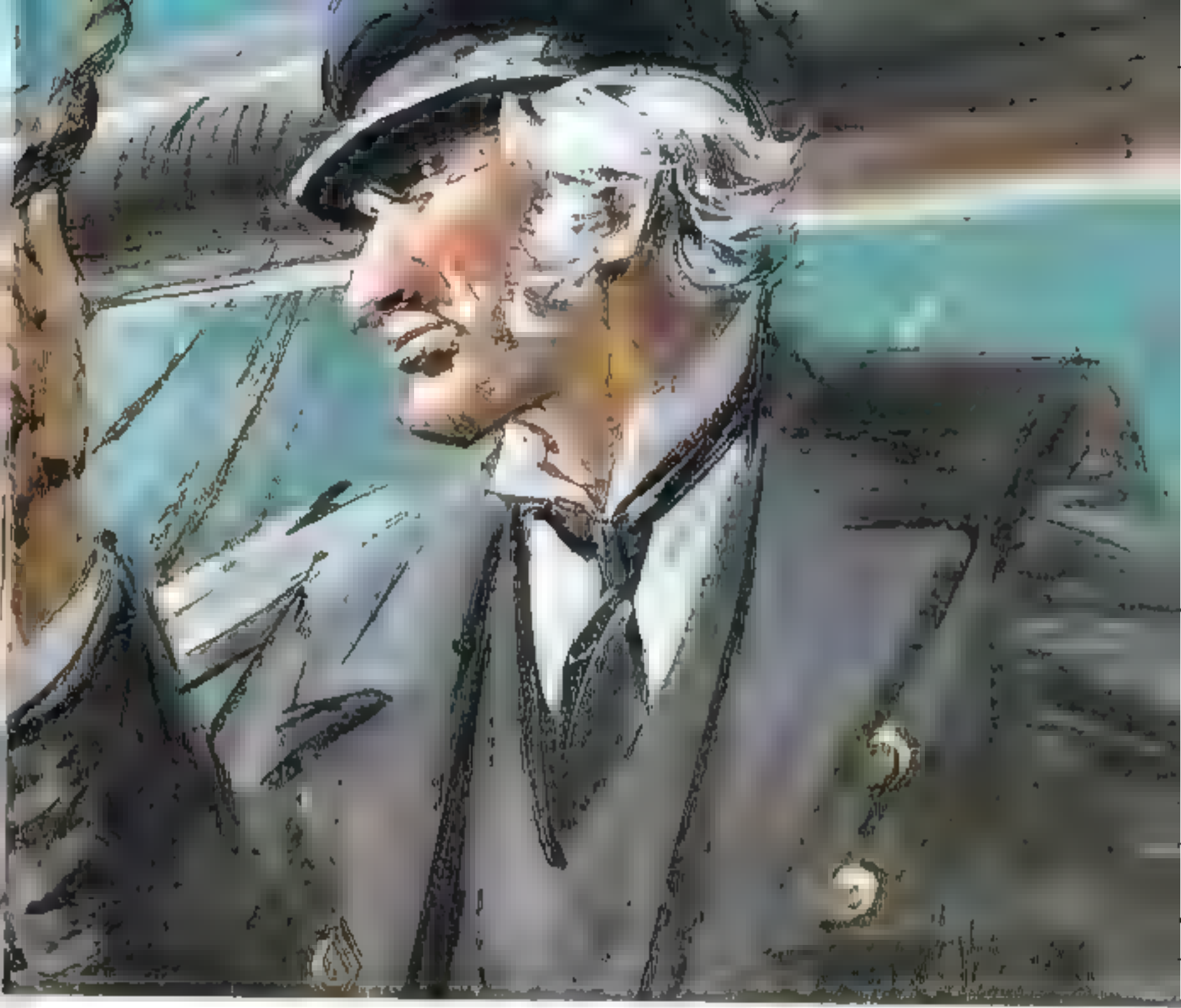
صَعِدْتُ مُسْرِعًا حَيْثُ كَانَ الْبَحَّارَةُ مُتَجَمِّعِينَ . وَعَلَى ضَوْءِ الْقِنْدِيلِ رَأَيْتُ
وُجُوهُهُمْ التَّعَبَةَ الْمَهْمُومَةَ .

وَكَانَ عَلَيْنَا مُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَنْ نَقُومَ بِضَخِّ الْمِيَاهِ بِصُورَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ طَوَالَ
النَّهَارِ ، وَطَوَالَ اللَّيْلِ ، وَطَوَالَ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ . كَانَ الْمَاءُ يَتَسَرَّبُ إِلَى السَّفِينَةِ ،
لَيْسَ بِالشَّكْلِ الَّذِي يُغْرِقُنَا فَوْرًا . لَكِنْ بِالشَّكْلِ الَّذِي يَتَطَبَّبُ مِنَّا أَنْ نَظْلَّ طَوَالَ
الْوَقْتِ مِنْهُمْ فِي الضَّخِّ .

وَبَيْنَمَا كُنَّا نَقُومُ بِمُهْمَتِنَا . كَانَتْ السَّفِينَةُ تَبْدُو وَكَأَنَّهَا سَتَتَحَوَّلُ إِلَى حُطَامٍ .
لَقَدْ تَحَطَّطَتِ الْأَعْمِدَةُ . وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ فَوْقَ السَّطْحِ إِلَّا وَتَحَوَّلَ إِلَى شَطَايَا . وَلَمْ
يَكُنْ فِي الطَّقْسِ مَا يُنبِئُ بِانْفِرَاجٍ قَرِيبٍ .

لَمْ يَعُدْ لِلشَّمْسِ وَالسَّمَاءِ وَالنُّجُومِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا وَجُودٌ . انْحَصَرَ عَالَمُنَا فِي
الْأَمْوَاجِ الْمُتَقَضَّةِ وَرَبْدِ الْبَحْرِ الْهَائِجِ . وَعِظَامُنَا الَّتِي لَا تَكْفُ عَنْ الْإِرْتِجَافِ .
نَسِينَا فِي أَيِّ يَوْمٍ نَحْنُ ، وَأَيِّ أُسْبُوعٍ ، وَأَيِّ شَهْرٍ مِنَ السَّنَةِ .

لَمْ يَعُدْ يَهُمُّ الْآنَ غَيْرُ مُوَاصَلَةِ تَذْوِيرِ سَوَاعِدِ الْمِصْخَاتِ . وَبَدَأَ فِي عُيُونِنَا
كُلُّهَا نَظَرَاتٌ بَلْهَاءٌ . لَكِنَّا وَاصِلُ الضَّخِّ بِلا تَوَقُّفٍ . وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ رَاحَتِ
الْمِيَاهُ تَنْصَبُّ فَوْقَ أَجْسَامِنَا وَتَصِلُ حَتَّى أَعْنَاقِنَا وَرُؤُوسِنَا . حَتَّى نَسِينَا كَيْفَ
يَكُونُ الْإِنْسَانُ غَيْرَ مُبْتَلٍ .



بينما كنت ذات ليلة أقوم بدوري في الضخ ، صدم ساقى قدر . لم يفت ذلك انتباهي أول الأمر ، فقد كنت مرهقا لا أرى أمامي إلا المضخات . ثم لمع في رأسي فجأة ما حدث ، فصحت : « يا شباب ، لقد طار العنبر السطحي . اتركوا ما نحن فيه وتعالوا نبحث عن الطباخ . »

كان البحارة كلهم قد تركوا لعنبر السطحي ، فقد كان واضحا أنه يوشك أن يتدعى . غير أن الطباخ أصر على أن يبقى فيه متمسكا بسريره بعناد تمسك حيوان مذعور .

خاطرنا بحياتنا في بحثنا عنه ، فلقد كان علينا أن نعرض أنفسنا تعرضا مبهرا لقوة العاصفة . وجدنا العنبر السطحي قد تبعثر كما لو أنه سيف نسف . وكان الجزء الأكبر من العنبر قد نشئت في الظلام وضاع مع مياه البحر . غير أن سرير الطباخ كان لا يزال علقا في مكانه ، وكان يد القدر قد تدحنت للإبقاء عليه .

رحمنا بين الحطام حتى وقعت عيوننا على المخلوق البائس وهو يضحك ويتمتم كلاما غير مفهوم . لقد أصيب بالجنون ، وظل طوال حياته مجنونا . هذا ما فعلته العاصفة في رجل منكود الحظ منا .

بينما كنت ذات ليلة أقوم بدوري في الضخ ، صدم ساقى قدر . لم يفت ذلك انتباهي أول الأمر ، فقد كنت مرهقا لا أرى أمامي إلا المضخات . ثم لمع في رأسي فجأة ما حدث ، فصحت : « يا شباب ، لقد طار العنبر السطحي . اتركوا ما نحن فيه وتعالوا نبحث عن الطباخ . »

كان البحارة كلهم قد تركوا لعنبر السطحي ، فقد كان واضحا أنه يوشك أن يتدعى . غير أن الطباخ أصر على أن يبقى فيه متمسكا بسريره بعناد تمسك حيوان مذعور .



أخيراً هَدَّأتِ العاصِفَةُ ، وَتَمَكَّنَّا مِنَ الْوُصُولِ إِلَى أَحَدِ مَوَاسِي شَاطِئِي
إِبْكِلْتَا الْحَوْبِيَّ وَكُنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْمَوْتِ مِنَّا إِلَى الْحَيَاةِ ، وَنَضْطَجِبُ مَعًا مَجْنُونًا .
قَامَ عُمَالُ ذَلِكَ الْبَلَدِ بِعَمَلِ مَشْكُورٍ . فَقَدْ أَعَادُوا السَّفِينَةَ الْمُحْطَمَةَ الَّتِي
وَصَلَتْهُمْ ، إِلَى حَالَتِهَا الصَّالِحَةِ السَّابِقَةِ . وَاسْتَبَدَلْنَا بِبَحَارَتِنَا فَرِيقًا جَدِيدًا .
أُنْجَرْنَا ثَانِيَةً . غَيْرَ أَنَّنَا عُدْنَا إِلَى الْمِيَاءِ بَعْدَ أَيَّامٍ . فَقَدْ رَفَضَ لِبَحَارَةُ
الْمُضِيِّ فِي رِحْلَةٍ تَسْتَفْرِقُ مِئَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا ، عَلَى مَتْنِ سَفِينَةٍ يَحْتَاجُونَ فِيهَا إِلَى
ضَخِّ الْمِيَاهِ ثَمَانِي سَاعَاتٍ يَوْمِيًّا .

إِعْتَرَصَتْهَا عَقَبَاتُ أُخْرَى . فَكَانَ أَنَّ مَكَّنَا فِي الْمِيَاءِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ حَتَّى نَدُونَا
وَكُنَّا مِنَ مَعَالِمِهِ الدَّائِمَةِ . صِرْنَا مِنْ رَبَائِصِ الْمَحَلَّاتِ كُلِّهَا ، وَكَانَ لِلأَوْلَادِ
يَقْتَرِبُونَ مِنْ سَفِينَتِنَا ، وَيَصِيحُونَ : «إِلَى أَيْنَ أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ ؟ إِلَى بَانْكُوكِ ؟» ثُمَّ
يَنْفَجِرُونَ صَاحِكِينَ

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ زَادَ حُبِّي لِثَلَاثِ السَّفِينَةِ ، وَتَحَرَّفْتُ شَوْقًا لِلإِنْحَارِ بِهَا إِلَى
بَانْكُوكِ . لَقَدْ غَدَتِ بَانْكُوكُ عِنْدِي كَلِمَةً سِحْرِيَّةً . تَذَكَّرُوا أَنِّي كُنْتُ حِينَهَا فِي
الْعِشْرِينَ ، وَكَانَتْ أَوَّلَ رِحْلَةٍ لِي كَضَابِطٍ ثَانٍ .

في نهاية الشهور الستة الطويلة تلك . زارنا أحد الوكلاء البحرينيين زيارة مفاجئة . فدنت الحياة في السفينة . دخلنا حوضاً جافاً لإصلاح السفن . وجدد هيكُل السفينة بحيث أصبح مانعاً للماء . ثم أعدنا تحميل شحنتنا الأصلية .

وفي ليلة قمرَاء رأينا الجرذان تهجر السفينة . وتلك علامة سيئة ، إذ يقال أن الجرذان لا تهجر إلا السفينة المشرقة على العرق . لكننا ، أنا وماهون ، وقفنا نراقب المشهد وقد استغرقنا في الضحك .

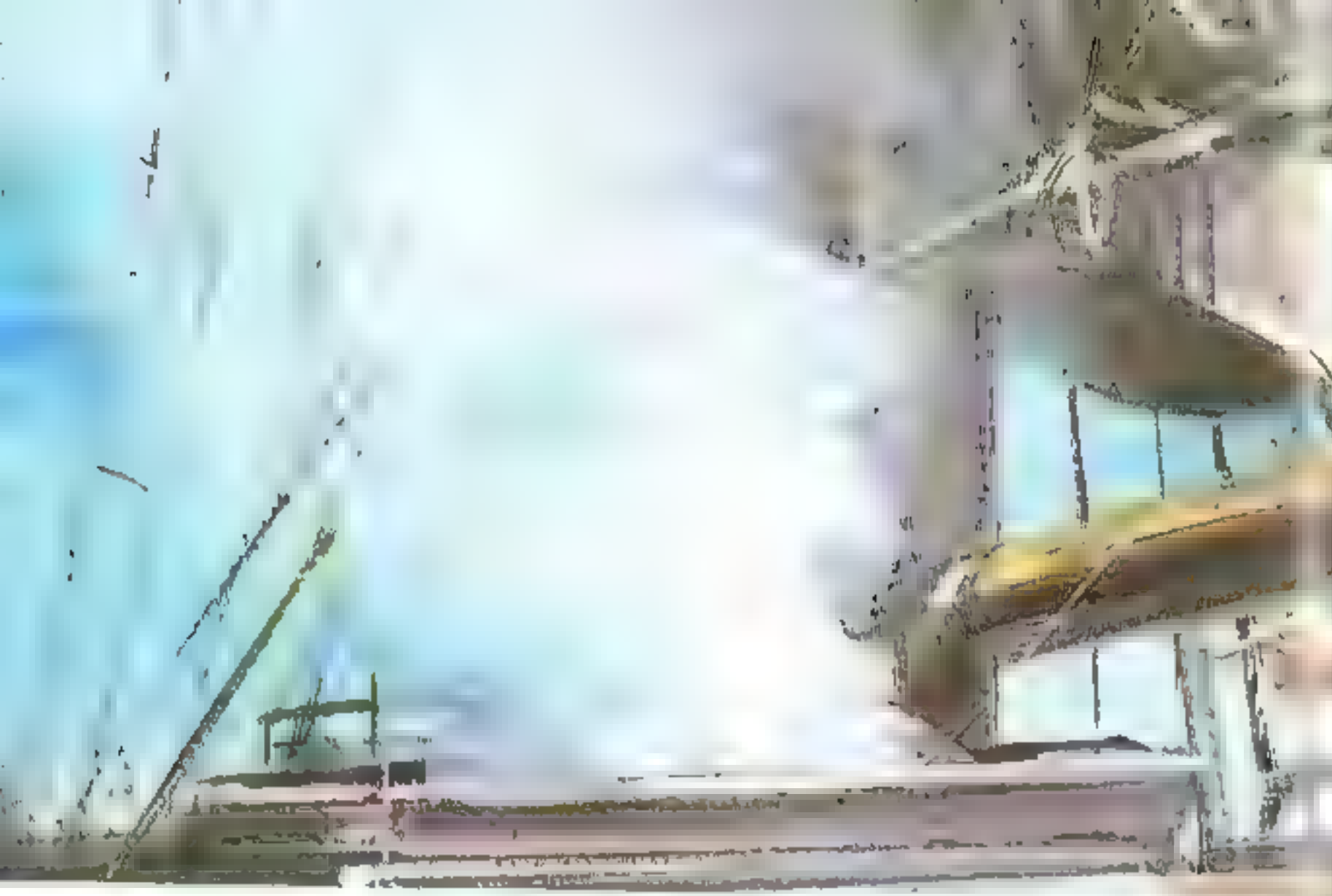
قال ماهون : « لا تذكر لي بعد الآن شيئاً عن ذكاء الجرذان ، فلو أنها كانت ذكية حقاً لتركنا قبل الآن ، عند اشتداد العاصفة علينا . »

أخيراً أصبحنا حازنين . وأرسل إلينا فريق جديد من البحارة اختير من ميناء بعيد . فقد امتنع بحارة الشاطئ الجنوبي كله من الإبحار معنا . بعد أن داعت شهرة سفينتنا !

كانت الريح معتدلة ومياه البحر ساكنة . فانطلقت سفينتنا جنوباً تهادى تحت أشعة الشمس . لم نكن نقطع أكثر من أربع عقد في الساعة . لكن شبابي كان يحملني على الصبر . فلقد كان أمامي الشرق كله وحياتي كلها . وبدأ لي أنني قد اجتزت امتحاني مع السفينة العجوز بنجاح .

ثم دخلنا المحيط الهندي ، واتجهنا شمالاً صوب رأس جاوا . ووسط رياح هادئة وادعة تابعت الأسابيع بسكينة وطمئنان . وكان شعار السفينة « اعْمَلْ أَوْ مِتْ » الذي حدد هو أيضاً يبرق في ضوء الشمس .





سَعَلَ الرَّحْلُ الَّذِي كَانَ مَعِيَ . وَقَالَ : « رَائِحَةُ غَرِيبَةٍ » يَا سَيِّدِي «
أَجَبْتُ بِهِدوءٍ : « يُقَالُ أَنَّ هَذِهِ الرَّائِحَةَ مُفِيدَةٌ لِلصِّحَّةِ » ثُمَّ مَشَيْتُ إِلَى
مِرْوَحَةِ التَّهْوِيَةِ فِي أَوْسَطِ السَّفِينَةِ . رَفَعْتُ لِعِطَاءٍ فَتَصَاعَدَ خَيْطٌ مِنْ دُحَانٍ . وَكَانَ
لَهُ رَائِحَةُ لَمَارَاهِينٍ لِمُخْتَرِقِ الْقَوِيَّةِ السُّخَامِيَّةِ . « نَزَلْتُ الْعِطَاءَ بِرَفْقٍ . لَمْ يَكُنْ مِنْ
دَاعٍ لِخِدَاعِ نَفْسِي أَوْ خِدَاعِ الْآخَرِينَ . لَقَدْ كَانَتْ حُمُولَتِي مِنَ الْفَحْمِ
الْحَجَرِيِّ تَحْتَرِقُ .

فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ أَحَدَ دُحَانِ الْإِخْتِرَاقِ يَتَصَاعَدُ . وَلَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ مُفَاجِئًا .
فَقَدْ تَعَرَّضَ الْفَحْمُ الْحَجَرِيُّ لِلتَّكْسُرِ فِي أَثْنَاءِ عَمَلِيَّاتِ الشَّحْنِ . كَمَا تَشْرَبُ
حَرَرِيًّا فِي أَثْنَاءِ الْعَوَاصِفِ الرَّعْدِيَّةِ . فَارْتَفَعَتْ حَرَارَتُهُ ارْتِفَاعًا شَدِيدًا أَدَّى إِلَى
نُشُوءِ اخْتِرَاقٍ بَلْقَائِيٍّ .

وَفِي مَسَاءِ أَحَدِ الْأَيَّامِ . طَلَبَ مِنِّي رِغَاقِي دَلُوءًا إِصْفِيًّا مِنْ مَدَى الْعَذَبِ
لِيُغْسَلَ بِهَايَهُمْ . وَلَمَّا كَانَ الْوَقْتُ مُتَأَخِّرًا فَإِنِّي نَمُّ أُرَدُّ أَنَّ أُرَكِّبَ الْمِصْحَقَةَ
لِإِحْصَالِ عَمَلٍ دَلُوءٍ وَحَدَرٍ مِنَ الْمَاءِ . وَاتَّجَهْتُ صَوْبَ حَرَّالِ الْمَاءِ الْإِصْفَاقِيِّ أَمَلًا
مِنْ الدَّلُوءِ

شَمَمْتُ هُنَاكَ رَائِحَةَ غَرِيبَةٍ مُرْعِيَةٍ . فَكَأَنَّمَا مِثَالُ قَدِيدٍ لِبَارِفِيٍّ قَدْ
تُرِكَتْ تَشْتَعِلُ مِنْذُ أَسَابِيعَ .

اسْتَدْعَى الْقَبْطَانُ الضَّابِطَ الْأَوَّلَ إِلَى قَمَرَتِهِ وَاسْتَدْعَانِي. بَدَأَ شَاحِبَ
الْوَجْهِ ، وَقَدْ بَسَطَ أَمَامَهُ خَرِيطَةً بَحْرِيَّةً.

قَالَ لَنَا : «إِنَّ شَاطِئَ أَسْتْرَالِيَا الْغَرْبِيَّ قَرِيبٌ. لَكِنِّي أَنْوِي إِكْمَالَ خَطِّ
سَيْرِنَا الْأَصْلِيِّ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْآنَ فِي شَهْرِ الْأَعَاصِيرِ. سَتَتَّبِعُ سَيْرَنَا إِلَى
بَانْكُوكَ ، وَنُحَارِبُ النَّارَ طَوَالَ طَرِيقِنَا ، إِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ. عَيْنًا أَوَّلًا أَنْ
نُحَاطِلَ إِخْمَادَهَا بِقَطْعِ الْهَوَاءِ عَنْهَا.»

حَاولْنَا ذَلِكَ ، فَسَدَدْنَا كُلَّ فَتْحَةٍ وَكُلَّ شَقٍّ. لَكِنَّ النَّارَ لَمْ تَتَوَقَّفْ. وَرَاحَ
الدُّخَانُ يَتَسَرَّبُ مِنْ بَيْنِ شُقُوقِ خَفِيَّةٍ لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ أَصْلًا بِوُجُودِهَا ، وَيَشُقُّ
طَرِيقَهُ عَبْرَ جُذُرِ السَّفِينَةِ الْخَشَبِيَّةِ وَكَأَنَّ لَهُ حَيَاةً فِي ذَاتِهِ. شَقَّ طَرِيقَهُ إِلَى كُلِّ
مَكَارٍ. حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَقْصُورَةِ الْقِيَادَةِ وَمُقَدِّمَةِ السَّفِينَةِ. لَقَدْ أَبَى الْإِحْتِرَاقُ أَنْ
يَخْمُدَ.



حَاولْنَا عِنْدَئِذٍ اسْتِغْمَالَ الْمَاءِ. فَفَتَحْنَا الْأَبْوَابَ. فَخَرَجَتْ كَمِيَّاتٌ هَائِلَةٌ
مِنْ دُخَانٍ أَصْفَرَ كَثِيفٌ دُهْنِيٌّ. أَعْدَدْنَا مِصْحَةً وَرُخْدًا نَضْخُ الْمَاءَ مِنَ الْمُحِيطِ
الْهِندِيِّ إِلَى دَاخِلِ السَّفِينَةِ. وَكَأَنَّمَا كَانَ قَدَرُنَا أَنْ نَضْخُ الْمَاءَ إِلَى خَارِجِ السَّفِينَةِ
إِنْقَادًا لِأَنْفُسِنَا مِنَ الْغَرَقِ ، وَأَنْ نَضْخَهُ إِلَى دَاخِلِهَا إِنْقَادًا لِأَنْفُسِنَا مِنَ الْإِحْتِرَاقِ.
وَهَكَذَا رَاحَتْ سَفِينَتُنَا الْعَجُوزُ تَرْحَفُ فِي الْبَحْرِ زَحْفًا ، مَتَمَرِّغَةً ، مُتَمَفِّعَةً
بِسُحْبِ الدُّخَانِ الْأَصْفَرِ.

فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ لَمْ نَرِ نَارًا. فَلَقَدْ كَانَتْ النَّارُ لَا تَرَالُ كَامِنَةً فِي الْقَاعِ.
جَاعَنِي مَا هُوَ ذَاتَ مَرَّةٍ ، وَقَدْ عَلَتْ وَجْهَهُ انْتِسَامَةٌ غَرِيبَةٌ ، وَقَالَ لِي : «مَا أَحْجَوَجْنَا
الْآنَ إِلَى مَا يُحْدِثُ فِي السَّفِينَةِ فَجْوةً ! ذَلِكَ يُوقِفُ النَّارَ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟»
وَلَمْ أَجِدْ جَوَابًا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ التَّمَنِّي إِلَّا قَوْلِي لَهُ : «أَتَذْكُرُ الْجُرْذَانَ ؟»



كُنَّا أَحْيَانًا نَهْزِلُ فِي أَثْنَاءِ مُكَافَحَتِنَا النَّارَ. فَقَدْ يَصُبُّ الرَّجُلُ مِنَّا الْمَاءَ وَيَصِيحُ: «هَيَّا إِلَى بَانْكُوكِ!» لَكِنَّا كُنَّا بِعَامَّةٍ مَيَّالِينَ إِلَى الصَّمْتِ، حَدِيثِينَ، وَعِطَاشًا. آه! مَا كَانَ أَشَدَّ عَطَشَنَا! فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ شَدِيدِي الْحِرْصِ عَلَى الْكَمِيَّةِ الضَّئِيلَةِ الَّتِي بَقِيَتْ مَعَنَا مِنْ مِيَاهِ الشَّرْبِ.

جَرَرْنَا كُلَّ شَيْءٍ. لَمْ إِنَّا حَاوَلْنَا أَنْ نَشُقَّ طَرِيقًا إِلَى النَّارِ. لَكِنْ لَمْ يَتِمَّ كُنْ أَيْ مِنَّا مِنَ الصُّمُودِ تَحْتَ أَكْثَرِ مِنْ دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ. أُغْمِيَ عَلَى مَا هُوَ الَّذِي كَانَ أَوَّلَ النَّارِ لَيْنِ. وَأُغْمِيَ أَيْضًا عَلَى لِرْجُلٍ لَّذِي أُرْسِلَ لِإِخْرَاجِهِ فَرَفَعْنَا الْإِثْنَيْنِ مَعًا. ثُمَّ قَفَزْتُ نَا لِأَرِيَهُمْ بَسَاطَةَ الْأَمْرِ، فَرَفَعَنِي الْبَحَارَةُ بَعْدَ لَحْظَاتٍ فَاقِدَةِ الْوَعْيِ. مُسْتَعِينِينَ بِكَلَابِ مُتَّصِلِينَ بِبَعْضِ مَكْنَسَةٍ.

أَحْدَثَ لِأُمُورٍ تَسَوُّءٍ فَأَنْزَلْنَا إِلَى جَنْبِ لِسَفِينَةٍ قَارِئِي نَحْوَةِ اسْتِعْدَادًا لِلطَّوَارِيءِ. فَجَاءَتْ أَحَدَ الدُّخَانِ يَتَنَاقَصُ فِضَاعَةً حُيُودَنَا فِي صَبِّ الْمَاءِ فَوْقَ مَكَانِ الْإِحْتِرَاقِ. وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ كَانَ الدُّخَانُ قَدْ انْقَطَعَ تَمَامًا. وَعَلَتْ ابْتِسَامَةٌ عَرِيضَةٌ وَجُوهَنَا جَمِيعًا.

لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا فِي الْيَوْمِ التَّالِي عَمَلٌ، فَانْهَمَكَ الرُّجَالُ فِي تَنْظِيفِ ثِيَابِهِمْ وَوُجُوهِهِمْ بَعْدَ أَنْ شَعِلُوا عَنْ ذَلِكَ أُسْبُوعَيْنِ. وَرَاحُوا يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْإِحْتِرَاقِ التَّلْقَائِيِّ بِإِحْتِقَارٍ، وَيُرَدِّدُونَ أَنَّهُمْ لَيَمَثِلَنَّ بِنْتُ الْحَرَائِقِ أَمَّا أَنَا، فَقَدْ كُنْتُ فَرِحًا وَفَخُورًا وَكَأَنِّي شَارِكْتُ فِي رِبْعِ مَعْرَكَةٍ بَحْرِيَّةٍ كُبْرَى. آه! مَا أَشَدَّ حِمَاةَ الشَّبَابِ!





في اليوم التالي كانت نوبة عملي تمتد بين الثامنة والثانية عشرة. كنتُ
مُتَكِنًا على دَكَّةِ النَّجَّارِ فوقَ سَطْحِ السَّفِينَةِ ، صَعِدَ النَّجَّارُ وَرُحْنَا نَتَجَدَّبُ
أَطْرَافَ الْحَدِيثِ. قَالَ : « أَظُنُّ أَنَّنَا أَحْسَنُ الْعَمَلِ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

أَحْسَسْتُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِشُعُورٍ غَرِيبٍ مَنَعَنِي مِنَ الْجَوَابِ. فَقَدْ رَأَيْتُ
نَفْسِي أَطِيرُ ، وَسَمِعْتُ مِنْ حَوْلِي صَوْتَ انفجارٍ مُخِيفٍ. ويدا لي أَنِّي أَصِيبْتُ
بِصَدْمَةٍ أَوْجَعَتْ أَضْلَاعِي. وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَتَحَرَّكُ فِي الْهَوَاءِ تَلَاَحَقَتْ أَفْكَارِي ،
عَلَى مَا أَذْكُرُ ، فِي أَسْئَلَةٍ حَائِزَةٍ ، وَكَأَنِّهَا تَصْرُخُ قَائِلَةً : « مَا هَذَا ؟ تَصَادُمُ ؟
تَفْجَرُ بُرْكَانِي فِي الْبَحْرِ ؟ انفجارٌ مُنْجَمٌ ؟ يَا إِلَهِي ! لَقَدْ نُسِفْنَا ! مَاتُوا كُلُّهُمْ ! »
ثُمَّ وَقَعْتُ عَبْرَ فَتْحَةٍ ، وَرَأَيْتُ نَارًا تَسْتَعُ !

وَلَمْ يَنْصُرْ حُرَّةٌ مِنْ ثَائِيَةٍ إِلَّا وَكُنْتُ مَرْمِيًّا فَوْقَ شِخْنَةِ الْفَحْمِ الْحَجَرِيِّ .
رَفَعْتُ نَفْسِي وَخَرَحْتُ مَذْعُورًا كَمَنْ أُصِيبَ بِصَدْمَةٍ كَهْرَبَائِيَّةٍ .

كَانَ سَطْحُ السَّفِينَةِ رُكْمًا مِنَ الْخَشَبِ لِمُحْطَمٍ وَقُمَاشٍ الْأَشْرَعَةِ
الْمُسْرَقَةِ . وَرَأَيْتُ صَارِي السَّفِينَةِ يَقَعُ فَوْقَ رَأْسِي فَأَنْدَقَعْتُ هَارِبًا مِنْ طَرِيقِهِ .



وكانَ ماهونَ أَوَّلَ مَنْ رَأَيْتُ . بَدَأَ ذَاهِلًا يَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ بِعَيْنَيْنِ زَائِغَتَيْنِ ،
وَقَدْ انْفَتَحَ فَمُهُ كُلُّهُ وَانْتَصَبَ شَعْرُهُ الْأَبْيَضُ فَرْعًا .

حَدَّقْتُ بِهِ غَيْرَ مُصَدِّقٍ أَنَّهُ لَا يَزَالُ حَيًّا . وَحَدَّقَ بِي فِي عَيْنَيْهِ نِظْرَةً
تَسْأُولُ يَائِسَةً . لَمْ أَكُنْ أَعْنَمُ أَنَّ شَعْرِي كَانَ قَدْ احْتَرَقَ كُلُّهُ ، وَكَذَلِكَ احْتَرَقَ
حَاجِبَايَ وَرُمُوشُ أَحْفَانِي وَشَارِبَايَ ، وَأَنَّ وَجْهِي كَانَ أَسْوَدَ ، وَأَنَّ وَجْهَتِي
وَأَنْفِي وَذَقْنِي كَانَتْ كُلُّهَا تَتَرَفُّ . رَأَيْتُ ثِيَابِي سَوْدَاءَ مُمَرَّقَةً ، وَأَذْهَشَنِي أَنَّ
أَرَى السَّفِينَةَ لَا تَزَالُ عَائِمَةً . وَأَذْهَشَنِي أَكْثَرَ أَنَّ أَرَى وَاحِدًا مِنَ النَّاسِ لَا يَزَالُ
حَيًّا فَوْقَهَا .

وَسَطَ الْإِضْطِرَابِ . لَمَحْتُ الْقُبْطَانَ يَخْرُجُ مِنْ دَاخِلِ السَّفِينَةِ ، وَفِي
عَيْنَيْهِ نَظَرَاتٌ بَلْهَاءٌ . أَتَى إِلَيَّ وَسَأَلَنِي بِلَهْفَةٍ : « أَتَيْنَ طَاوِلَةَ الْمَقْصُورَةِ ؟ »

أَصَابَنِي ذَلِكَ السُّؤَالُ بِصَدْمَةٍ عَنيفَةٍ . كُنْتُ لَمْ أَزَلْ غَيْرَ وَاثِقٍ مِمَّا إِذَا
كُنْتُ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا ، وَيَأْتِينِي مِثْلُ ذَلِكَ السُّؤَالِ !

رَعَقَ ماهونَ ، وَهُوَ يَخْبِطُ بِقَدَمَيْهِ ، قَائِلًا : « يَا اللَّهُ ! أَلَا تَرَى أَنَّ
الْحَائِبَ الْعُلُويَّ مِنَ السَّفِينَةِ قَدْ طَارَ كُلُّهُ ؟ »

تَمَتَّتْ بِكَلِمَاتٍ وَاهِنَةٍ . ثُمَّ سَمِعْتُ الْقُبْطَانَ يَطْلُبُ يَهْدُوهُ أَنْ يُرْفَعَ
الشَّرَاعُ مُجَدِّدًا .

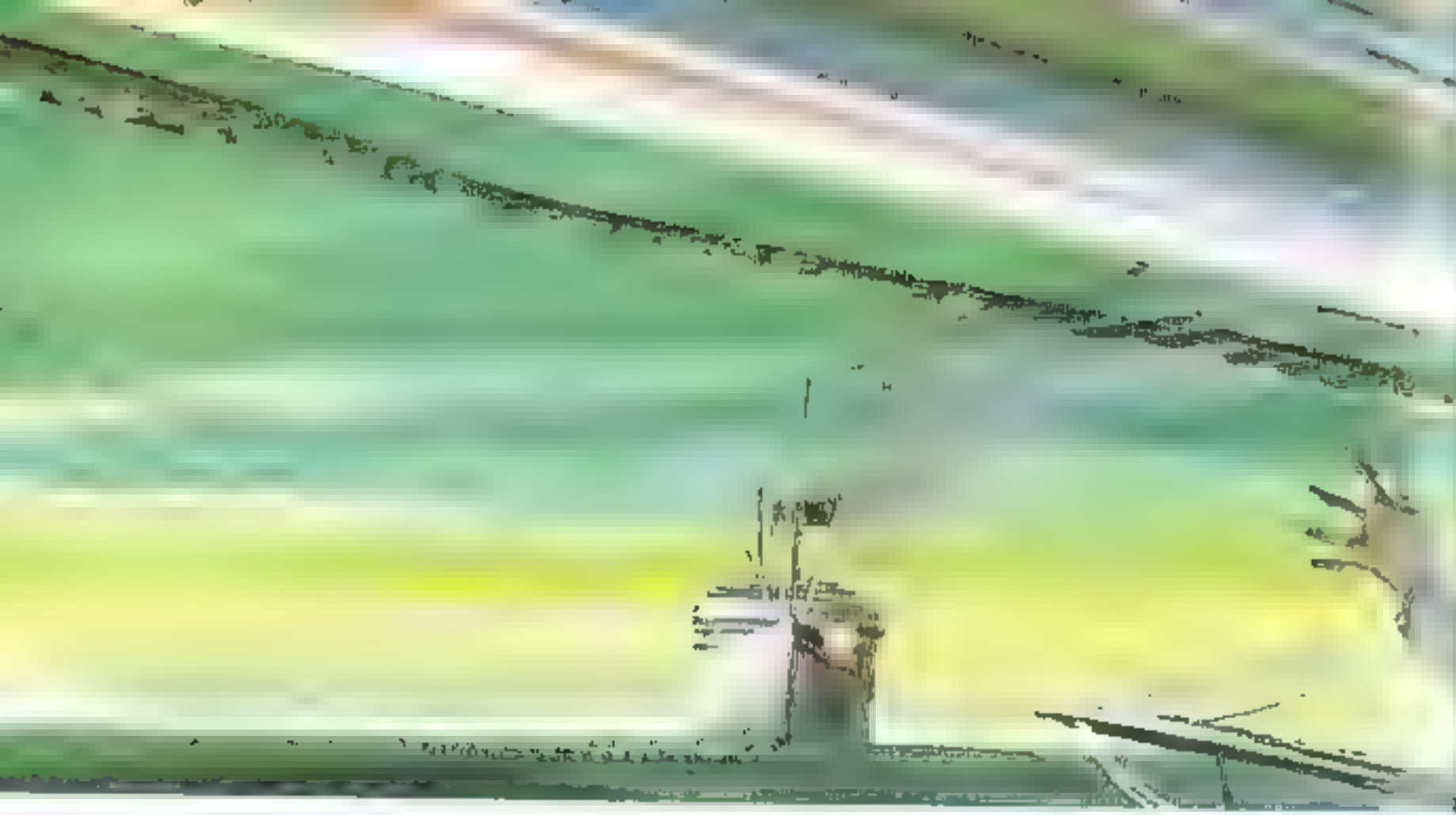
قَالَ ماهونَ وَهُوَ يُغَالِبُ دُمُوعَهُ : « لَا أَعْرِفُ إِنْ كَانَ لَا يَزَالُ أَحَدٌ حَيًّا . »
بَدَأَ الْإِضْرَارُ عَلَى وَجْهِ الْقُبْطَانِ وَهُوَ يَقُولُ يَهْدُوهُ . « لَا شَكَّ أَنَّهُ بَقِيَ حَيًّا
عَدَدٌ يَكْفِي لِإِعَادَةِ نَشْرِ الْأَشْرَعَةِ . »

كَانَ الْقُبْطَانُ ، عَلَى مَا يَبْدُو ، فِي مَقْصُورَتِهِ يَسْتَعْدِمُ بَعْضَ أَجْهَزَةِ
الْقِيَاسِ ، حِينَ وَقَعَ الْإِنْفِجَارُ الْمُرَوِّعُ وَقَدَفَ بِهِ فِي الْهَوَاءِ . وَحِينَ اسْتَوَى عَلَى
قَدَمَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، كَانَ أَوَّلَ مَا وَعَاهُ اخْتِفَاءُ طَاوِلَةِ الْمَقْصُورَةِ وَحُدُوثُ فَجْوَةٍ
عَمِيقَةٍ فِي مَكَانِهَا . وَلَقَدْ تَرَكَ ذَلِكَ الْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ أَثْرًا بِالْغَا حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَرَى
لِغَيْرِهِ شَأْنًا يُذَكِّرُ .

نَظَرَ الْقُبْطَانُ إِلَى عَحْلَةِ الْقِيَادَةِ فِي السَّفِينَةِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهَا أَحَدًا ، وَرَأَى
أَنَّ السَّفِينَةَ قَدْ خَرَجَتْ عَنْ خَطِّ سَيْرِهَا . فَانْحَصَرَ هَمُّهُ فِي مُحَاوَلَةِ إِعَادَةِ
الْهَيْكَلِ الَّذِي تَبَقَّى مِنْ سَفِينَتِنَا إِلَى خَطِّ السَّيْرِ الْأَصْلِيِّ الْمَوْصِلِ إِلَى بَانْكُوكِ .
وَلَقَدْ كَانَ لِإِصْرَارِ الْقُبْطَانِ عَلَى أَمْرٍ لَا يَرَى غَيْرَهُ وَقَعَ الصَّاعِقَةُ عَلَيْنَا ، أَنَا
وَمَاهُونُ .

وَهَكَذَا كَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ فَعْنَاهُ فَوْقَ ذَلِكَ الْحُطَامِ إِعَادَةُ نَشْرِ الْأَشْرَعَةِ .
لَمْ يُقْتَلْ أَيُّ مِنْ الْبَحَّارَةِ فِي الْإِنْفِجَارِ أَوْ يُصَبُّ بِعُطْلٍ دَائِمٍ . غَيْرَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ
مِنَّا تَذَيَّ بِشَكْلٍ أَوْ بِآخَرَ .





بَدَا سَطْحُ السَّفِينَةِ كَوْمَةً مِنَ الْأَلْوَحِ وَحُطَامِ الْأَخْشَابِ . وَارْتَفَعَتْ فَوْقَ
هَذَا الْحُطَامِ ضَوَارِي السَّفِينَةِ الْمُسْوَدَّةِ بِدُخَانِ الْإِحْتِرَاقِ . وَكَانَتْ بَعْضُ
سُحُبِ الدُّخَانِ قَدْ أُحْذَتْ تَتَصَاعَدُ مِنَ الْحَرِيقِ الْخَفِيِّ فِي بَاطِنِ السَّفِينَةِ
لَكِنَّ عَلَى لَرُغْمٍ مِنْ ذَلِكَ كُنَّا لَا نَرَاهُ نَحَافِظُ عَلَى وَعِيدِ . فَأَسْرَعْنَا نَتَقَدُّ
خَوَائِبَ السَّفِينَةِ . فَرَأَيْنَا قَائِدَ الدَّفْعَةِ يُصَارِعُ الْمَيَاةَ . بَعْدَ أَنْ رَمَى نَفْسَهُ لِحِظَةِ
الْإِنْفِجَارِ طَبْعًا لِلنَّجَاةِ . رَمَيْنَا إِلَيْهِ حَبْلًا وَسَحَبْنَاهُ ، فَوَقَفَ بَيْنَنَا يَسِيلُ مَاءً ، وَقَدْ
بَدَا عَلَى وَجْهِهِ الْإِكْتِنَابُ وَالذُّعْرُ .

لَمَحَ مَا هُوَ فَجَاءَتْ سَفِينَةٌ نُحَارِيَّةٌ بَعِيدَةٌ وَأَسْرَعَ الْقُصْصَانُ يَقُولُ : « لَعَلَّا لَا
تَزَالُ قَادِرِينَ عَلَى نِقَادِهَا . »

رَفَعْنَا عَلَمَيْنِ ، وَبَعْنَى ذَلِكَ فِي الْإِشَارَاتِ الْبَحْرِيَّةِ الدَّوْلِيَّةِ أَنَّ سَفِينَتَنَا
تَحْتَرِقُ ، وَأَنَّهَا بِحَاجَةٍ إِلَى عَوْنٍ فَوْرِيٍّ . وَسُرْعَانَ مَا رَأَيْنَا السَّفِينَةَ الْبُخَارِيَّةَ
تَسْرِعُ فِي الْإِقْتِرَابِ مِنَّا ، وَهِيَ تُرْسِلُ إِشَارَاتٍ تُفِيدُ أَنَّهَا مُقْبِلَةٌ لِنَحْدِثِ

كَانَ مَطَرُهُمْ مُرْعِيًا . فَقَدْ كَانَ عَدَدُ مَسْهِمِ مُسَرِّقِي الثِّيَابِ ، يَطْرُقُ بَعِيدًا
بَيْضَاءَ مَدْعُورَةٍ مِنْ وُجُوهِ مُسْوَدَّةٍ . وَكَانَ آخَرُونَ نَائِمِينَ عِنْدَهُمْ قَدْ قُذِفَتْهُمُ الْإِنْفِجَارُ
مِنْ أَسْرِيَّتِهِمْ ، فَأَصَابَهُمْ دُغْرٌ شَدِيدٌ وَلَمْ يَكُفُّوا عَنِ الْإِرْتِجَافِ وَالْأَلْيَنِ . غَيْرَ
أَنَّهُمْ حَمِيحًا شَارَكُوا فِي الْعَمَلِ جَاهِدِينَ دُونَ هَوَادَةٍ ، حَتَّى بَتَّ أَنْتَوَقِعُ أَنَّ
يَسْقُطُوا إَعْيَاءً .

وَبَعْدَ بَصْفِ سَاعَةٍ كَانَتْ السَّفِينَةُ الْبُخَارِيَّةُ قَدِ اقْتَرَبَتْ مِنَّا . فَفَقَدْنَا
حَمِيْعًا السَّيْطَرَةَ عَلَى أَعْصَابِنَا وَرُحْنَا نَصِيْحُ مَعًا صِيَاْحًا مَذْعُورًا قَائِلِينَ : «لَقَدْ
نُسِفْنَا !»

وَقَفَ رَحْلُ يَغْتَمِرُ خَوْذَةً يَبْيَضَاءُ عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ الْبُخَارِيَّةِ وَرَدَّ عَلَيْنَا
صَائِحًا : «لَا بَأْسَ ! لَا بَأْسَ !» ثُمَّ هَزَّ رَأْسَهُ وَابْتَسَمَ ، وَكَأَنَّهُ يُحَاوِلُ تَهْدِئَةَ
أَطْفَالٍ مَذْعُورِينَ .

اقْتَرَبَ مِنْ سَفِينَتِنَا زَوْزُقٌ يَحْمِلُ ضَابِطًا . صَعِدَ الضَّابِطُ إِلَى سَفِينَتِنَا ،
وَلَقِيَ نَظْرَةً وَاحِدَةً عَلَى الْخُطَامِ حَوْلَهُ ، وَقَالَ : «يَا أَوْلَادُ ، خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ
تَتْرَكَوُ السَّفِينَةَ .»



لَزِمْنَا الصَّمْتَ ، فِي حِينَ رَاحَ الضَّابِطُ يَتَحَدَّثُ جَانِبًا مَعَ قُبْطَانِنَا . وَلَمْ
يَبْدُ أَنْ الرَّحْلَيْنِ كَانَا مُتَّفِقَيْنِ فِي الرَّأْيِ . ثُمَّ اتَّحَا كِلَاهُمَا بِالزَّوْزُقِ إِلَى السَّفِينَةِ
الْبُخَارِيَّةِ .

عَادَ الْقُبْطَانُ بَعْدَ حِينٍ ، فَأَثْبَتْنَا أَنَّ قُبْطَانَ لِسَفِينَةِ الْبُخَارِيَّةِ وَافَقَ بَعْدَ
عَنَاءٍ أَنْ يَقْطُرَنَا إِلَى حَيْثُ نَحْنُ ذَاهِيُونَ .

بَدَأَ قُبْطَانُنَا مُنْفَعِلًا وَمُتَحَمِّسًا ، فَقَدْ رَفَعَ قَبْصَتَهُ عَالِيًا وَرَاحَ يَهْزُهَا وَيَصِيحُ
فِي وَجْهِ مَا هُونَ قَائِلًا : «سَتَنْجَحُ !» وَلَئِنْ جَمِيعُنَا بِصَمْتٍ مُطْقٍ .

عِنْدَ الظُّهْرِ انْطَلَقَتِ السَّفِينَةُ الْبُخَارِيَّةُ تَعْلُو الْأَمْوَاجَ بِزَهْوٍ وَخِيْلَاءٍ ،
وَانْدَفَعَ مَا بَقِيَ مِنْ سَفِينَتِنَا الْعَجُوزِ مَرْبُوطًا إِلَى نِهَآيَةِ حَبْلِ قَطْرِ طَوِيلٍ .



في العاشرة من مساء تلك الليلة وقعت غيوتنا ، لأول مرة ، على النار ،
منذ أن بدأنا بمكافحتها . فقد أسهمت سرعة السفينة القاطرة على تهوية
النار . برزت شعلة زرقاء في مقدمة السفينة . وانتصت هناك ترتعش . ثم
برزت السنة حمراء تلتهم ما تبقى من سطح سفيتنا . وكنت أول من رأى
السنة الذهب تلك ، فأنبأت ماهون بالأمر فوراً

قل : « اللعة انتهت إذا . علينا أن نوقف لقطر . وإلا احترقت السفينة
من جوبنها كلها قبل أن نجد وقتاً لهجرها . »

لَمْ نَسْتَطِعْ جَذْبَ نِشَاهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ عَلَى مَتْنِ السَّفِينَةِ الْبُخَارِيَّةِ لَا
بِاسْتِعْمَالِ الْأَجْرَاسِ وَلَا بِالصِّيَاحِ . فَلَمْ يَكُنْ أَمَامَنَا وَمَاهُونَ أَحْيَاءَ إِلَّا أَنْ
نَزَحَفَ إِلَى مُقَدِّمَةِ السَّفِينَةِ وَنَقَطَعَ حَبْلَ الْقَطْرِ بِمَاسٍ .

سُتَدَارَتِ السَّفِينَةُ الْبُخَارِيَّةُ عِنْدَمَا اكْتَشَفَتْ مَا حَدَثَ وَاقْتَرَبَتْ مَنَا .
وَقَفْنَا جَمِيعُنَا مُتَلَاصِقِينَ نُرَاقِبُهَا . وَقَدْ وَضَعَ كُلُّ مَنَا أَمَامَهُ صُرَّةً صَغِيرَةً
جَمَعَ فِيهَا حَاجَتَهُ .

فَجَاءَ انْبِعَثَ مِنْ جَانِبِي سَفِينَتَا لَهَبٌ مَخْرُوطِي الشَّكْلِ بَسَطَ فِي الْبَحْرِ
الْأَسْوَدِ حَوْلَنَا دَائِرَةً مِنْ نُورٍ . وَغَمَرَ الضُّوْءُ السَّفِينَتَيْنِ الْمُتَحَاوِرَتَيْنِ . وَكَانَ
الْقُبْطَانُ يَرُدُّ يَجْلِسُ وَحْدَهُ مُرَوِّباً صَامِتاً .

صَرَخَ قُبْطَانُ السَّفِينَةِ الْبُخَارِيَّةِ قَائِلاً : « هَيَّا ! اسْرِعُوا ! إِنَّ مَعِيَ أَكْيَاسَ
بَرِيدٍ عَنِّي أَنْ أُوصِلَهَا فِي وَقْتِهَا . سَأَحْمِلُكُمْ مَعِيَ إِلَى سِنْغَافُورَةِ ، أَنْتُمْ وَقَوَارِيبُكُمْ
الصَّغِيرَةِ . »



نَهَضَ الْقُبْطَانُ بِيْرْدٍ يُبْطِئُ ، وَتَقَدَّمَ عَلَى مَهْلٍ إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ ، وَصَاحَ :
«شُكْرًا ! لَا ! وَاجِبُنَا يُحْتَمُّ عَيْنًا أَنْ نَرَى نِهَايَةَ السَّفِينَةِ .»

زَعَقَ قُبْطَانُ السَّفِينَةِ الْبُخَارِيَّةِ قَائِلًا : «لَا اسْتَطِيعُ أَنْ اتَّأَخَّرَ . قُتُّ لَكَ إِنْ
مَعِيَ أَكْيَاسَ تَرِيدِ ، وَهِيَ كَمَا تَعْلَمُ مُسْتَعْجَلَةٌ .»

«لَا بَأْسَ ، يَا سَيِّدِي . سَتَدَبِّرُ أَمْرَنَا .»

«إِلَى اللُّقَاءِ إِذَا ، سَنَنْقُلُ إِلَى سُلْطَاتِ سِيْغَافُورَةَ حَالِكُمْ .»

لَوَّحَ قُبْطَانُ السَّفِينَةِ الْبُخَارِيَّةِ بِيَدِهِ . وَأَنْزَلَ رِجَالًا صُرَرَهُمْ بِبُطْءٍ . نَعَدَ أَنْ
كَانُوا قَدْ رَفَعُوهَا اسْتِعْدَادًا لِلرَّحِيلِ . انْطَلَقَتِ السَّفِينَةُ الْبُخَارِيَّةُ ، وَسُرْعَانِ مَا
حَرَجَتْ مِنْ دَائِرَةِ الضُّوءِ الَّتِي أَحْدَثَتْهَا نَارُنَا ، وَاخْتَفَتْ فِي الظَّلَامِ .

ذَكَرْنَا الْقُبْطَانَ بِصَوْتِ رَفِيقٍ أَنْ وَاجِبَنَا يُحْتَمُّ عَلَيْنَا أَنْ نَحَاوِلَ إِنْقَاذَ مَا
أَمْكَنَ مِنْ مُعَدَّاتِ السَّفِينَةِ. وَهَكَذَا بَيْنَمَا كَانَا جَانِبَ السَّفِينَةِ يَشْتَعِلَانِ رُحْنَا نَحْنُ
نَشْتَغِلُ.

كَانَ فِي عَدِيرِ السَّفِينَةِ مُعَدَّاتٌ وَحَاجَاتٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا قُمَاشٌ أَشْرَعَةٌ وَلَفَّاتُ
جِبَالٍ وَمَوَازِينُ بَحْرِيَّةٌ مُشَوَّعَةٌ. وَلَقَدْ رَمَيْنَا جَانِبًا كَبِيرًا مِنْ هَذِهِ الْمُعَدَّاتِ
وَالْحِجَاتِ فِي الْبَحْرِ فِي أَثْنَاءِ انْتِشَالِ الْقُبْطَانِ عَنَّا. وَأَنْزَلْنَا الْبَاقِيَّ إِلَى زَوَارِقِ النِّجَاحِ
الَّتِي كَانَتْ قَدْ رُبِطَتْ إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ.

عِنْدَمَا أَتَمَمْنَا وَجِدْنَا نَزَرْنَا إِلَى الْقَوَارِبِ فِي الْبَحْرِ الْأَمْرِ بِهَجْرِ السَّفِينَةِ.
لَكِنَّ الْأَمْرَ لَمْ يُعْطَ.

أَخِيرًا صَرَخْتُ فِي الرِّجَالِ الَّذِينَ كَانُوا لَا يَزَالُونَ عَلَى مَتْنِ السَّفِينَةِ قَائِلًا:
«نَحْنُ جَاهِزُونَ!» فَامْتَدَّ رَأْسُ أَحَدِ الرِّجَالِ، وَصَاحَ: «يَقُولُ الْقُبْطَانُ:
حَسَنًا، أَبْقُوا الزَّوَارِقَ بَعِيدَةً عَنِ السَّفِينَةِ.»

مَرَّتْ ثَلَاثُونَ دَقِيقَةً، كَانِ الرِّجَالُ التَّابِعُونَ لِي فِي أَثْنَائِهَا مُتَوَتِّرِي
الْأَعْصَابِ وَعَلَى حَافَةِ الْإِنْهِيَارِ. فَقَدْ كَانَتْ النَّارُ تَزْدَادُ سَوْءًا. وَبَاتَ يُخْشَى مِنْ
امْتِدَادِهَا إِلَى زَوَارِقِ النِّجَاحِ أَيْضًا.



ثُمَّ سَمِعْنَا فَجَاءَةً قَعْقَعَةً مُرْعِبَةً ، وَصَوَاتَ سَلَاسِلَ حَدِيدِيَّةٍ ، وَرَأَيْنَا مَلَائِينَ
الشَّرَارَاتِ تَتَطَايَرُ مِنْ جَانِبِي السَّفِينَةِ . وَسَقَطَتْ مِرْسَاتَا السَّفِينَةِ وَالسَّلَاسِلُ فِي
الْبَحْرِ ، وَهِيَ تَتَوَهَّجُ نَارًا . وَعَاصَتْ فِي الْأَعْمَاقِ . اهْتَزَّتِ السَّفِينَةُ اهْتِزَازًا
عَنيفًا . وَبَدَأَ أَنَّ أَلْسِنَةَ النَّيْرَانِ قَدْ ضَاعَفَتْ نَشَاطَهَا . ثُمَّ سَقَطَ الصَّارِي الْكَبِيرُ فِي
السَّفِينَةِ كَمَا تَسْقُطُ شَجَرَةٌ عِمْلَاقَةٌ تَحْتَ ضَرْبَاتِ فَاسٍ الْحَطَّابِ .
صَرَخْتُ مِنْ زَوْرَقِي مُجَدِّدًا . لَكِنِّي لَمْ أَتَلَقَّ جَوَابًا ، فَتَسَلَّقْتُ كَأَلْمَجْنُونِ
جَانِبَ السَّفِينَةِ عَائِدًا إِلَى مَتْنِهَا .

كَانَتْ الْحَرَارَةُ هُنَاكَ هَائِلَةً ، وَكَانَ ضَوْؤُ النَّارِ قَدْ حَوَّلَ لَيْلَ السَّفِينَةِ إِلَى
نَهَارٍ . وَرَأَيْتُ مَشْهَدًا مُذْهِلًا . رَأَيْتُ الْقُبْطَانَ مُسْتَقِيمًا عَلَى أَرِيكَةِ سُحِبَتِ مِنْ
الْمَقْصُورَةِ ، وَقَدْ اسْتَغْرَقَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ . وَكَانَتْ الْأَضْوَاءُ تَتَرَاقَصُ فَوْقَ وَجْهِهِ
الْمُتَعَبِ . أَمَا فَرِيقُ الْبَحَّارَةِ التَّابِعُ لَهُ فَقَدْ رَأَيْتُهُمْ يَجْلِسُونَ عَلَى الْأَرْضِ حَوْلَ
صُندوقٍ مَفْتُوحٍ ، يَأْكُلُونَ الْخُبْزَ وَالْجُبْنَ وَيَشْرَبُونَ .

وَبَدَأَ لِبَحَّارَةِ بَيْنَ أَلْسِنَةِ اللَّهَبِ الْمُتَرَاقِصَةِ عُصْبَةً مِنَ الْقَرَاصِصَةِ الْيَائِسِينَ .
فَلَقَدْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَحْمِلُ عَلَامَةً مِنْ عِلَامَاتِ الْمَعْرَكَةِ : ضِمَادَةٌ
لِلرَّاسِ . أَوْ حِمَالَةٌ لِلذَّرَاعِ ، أَوْ رُقْعَةٌ وَسِخَةٌ حَوْلَ رُكْبَةٍ نَازِقَةٍ . لَكِنْ بَيْنَ سَاقِي
كُلِّ مِنْهُمْ جُبْنٌ وَشَرَابٌ .

زَعَفْتُ بِصَوْتٍ رَهيبٍ غَيْرَ مُصَدِّقٍ مَا أَرَى . فَانْتَصَبَ مَا هُونَ وَاقِفًا عَلَى
قَدَمَيْهِ وَقَالَ بِوَقَرٍ : « آخِرُ وَجِبَةٍ لَنَا عَلَى مَتْنِ السَّفِينَةِ . لَا مَعْنَى لِأَنْ نَتْرَكَ كُلَّ هَذَا
الطَّعَامِ وَرَاءَنَا . »





وَقَفَ بَحَارُ شَابٌ وَهُوَ يَمْسَحُ فَمَهُ بِطَرَفِ كُمِّهِ ، وَتَسْلُقُ حَافَةَ السَّفِينَةِ . ثُمَّ
تَبِعَهُ آخَرُونَ . وَبَيْنَمَا كَانَ نَحَارٌ يَتَسَلَّقُ حَافَةَ السَّفِينَةِ تَوَقَّفَ لَحِطَةً وَأَفْرَغَ زُحَاحَةَ
شَرَابٍ فِي مَعِدَتِهِ ، ثُمَّ رَمَى بِالزُّجَاجَةِ رَمِيَّةً هَائِلَةً إِلَى النَّارِ صَارِخًا : « خُذِي
هَذِهِ ! »



لَوْحَ مَا هُونَ عِنْدَئِذٍ بِقَيْنَةِ شَرَابٍ فِي اتِّجَاهِ الْقُطَانِ الدَّائِمِ ، وَقَالَ : « كَلَّ
كَثِيرًا وَنَدَمَ . لَمْ يَعْرِفْ طَعْمَ النَّوْمِ مُذْ أَبَامَ ، وَلَنْ يَكُونَ نَوْمٌ فِي زَوَارِقِ النِّجَاحَةِ . »
قُلْتُ : « لَنْ يَكُونَ عِنْدَكُمْ زَوَارِقُ نَحَاةٍ إِذَا لَمْ تَتَوَقَّفُوا حَذًّا عَنْ عَيْنَيْكُمْ . »
ثُمَّ انْتَفَضْتُ غَاصِبًا ، وَمَشَيْتُ نَحْوَ الْقُطَانِ فَأَيَّقَطُهُ بِرِفْقٍ قَائِلًا : « عَلَيْكَ أَنْ تَتْرَكَ
السَّفِينَةَ الْآنَ يَا سَيِّدِي ! »
رَفَعَ الْقُطَانُ نَفْسَهُ يَبْطِئًا وَالْمِ ، وَنَظَرَ إِلَى أَلْسِنَةِ اللَّهَبِ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ بِهَدوءٍ
قَائِلًا : « الْأَصْغَرُ سَيِّئًا أَوَّلًا . »

هَجَرْنَا السَّفِينَةَ بَعْدَ سِتِّ عَشْرَةَ سَاعَةً مِنْ حُدُوثِ الْإِنْفِجَارِ . كَانَ مَا هُونِ
قَائِدًا لِلزُّورَقِ الْأَوْسَطِ ، وَكُنْتُ أَنَا قَائِدًا لِلزُّورَقِ الْأَصْغَرِ . أَمَّا الْقَبْطَانُ فَقَدْ أَخَذَ
الزُّورَقَ الْأَكْبَرَ . وَهَكَذَا تَوَلَّيْتُ مُهِمَّةَ الْقِيَادَةِ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى . كَانَ مَعِيَ رَجُلَانِ ،
وَعُلبَةُ بَسْكَوَيْتٍ ، وَبَعْضُ اللَّحُومِ الْمُعَلَّبَةِ ، وَمَطْرَةٌ مَاءً .

لَمْ نُحِرْ فِي قَوَارِينِ قَوْرٍ . فَقَدْ تَمَهَّلْنَا لِمَرَى نِهَايَةِ سَفِينَتِنَا . أَخَذَتِ السَّفِينَةُ
تَحْتَرِيقُ كُلِّهَا احْتِرَاقًا مَجْنُونًا . وَبَدَتْ كَأَنَّهَا مَحْرَقَةٌ هَائِلَةٌ أَشْعَلَتْ فِي جَسَدِ
مُحَارِبٍ عَظِيمٍ . وَتَرَجَعَ الظَّلَامُ أَمَامَ أَلْسِنَةِ اللَّهَبِ الْمُتَصَاعِدَةِ . وَعِنْدَمَا طَلَعَ
الصَّبَاحُ لَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ مِنَ السَّفِينَةِ غَيْرُ هَيْكَلِهَا الْمُتَفَحِّمِ يَعمُ تَحْتَ سَحَابَةٍ
مِنْ دُحَانٍ .

وَبَيْنَمَا كُنَّا نَتَهَيَّأُ لِلْإِنْطِلَاقِ رَأَيْنَا كُتْمَةً مِنْ نَارٍ تَنْدَفِعُ فَجَاءَةً مِنْ وَسَطِ
السَّفِينَةِ . ثُمَّ رَأَيْنَا السَّفِينَةَ تَنْقِيبُ عَلَى جَنْبِهَا وَتَغُوصُ فِي مِيَاهِ الْمُحِيطِ . وَرَافَقَ
ذَلِكَ عَزِيفُ صَاحِبٍ وَكَأَنَّمَا غَاصَتْ فِي الْبَحْرِ جَمْرَةٌ عِمْلَاقَةٌ هَائِلَةٌ .
اتَّجَهْنَا شِمَالًا صَوْبَ جَزِيرَةِ جَاوَا . وَهَبَتْ عَيْنَا رِيحًا . فَصَبْتُ شِرَاعًا .
اسْتَعْنْتُ فِي رَفْعِهِ بِمِجْدَافٍ إِضَافِيٍّ .

وَكَانَ لَدَيْنَا تَعْلِمَاتٌ بِالْبَقَاءِ مُتَقَارِبِينَ مَا أُمَكَّنَنَا ذَلِكَ . وَبِالْإِتِّجَاهِ شِمَالًا .
لَكِنْ قَبْلَ حُلُولِ الظَّلَامِ اكْفَهَرَتِ السَّمَاءُ وَتَسَاقَطَتِ الْأَمْطَارُ بِعَرَارَةٍ . وَعِنْدَ
انْقِشَاعِ الْغُيُومِ وَجَدْتُ أَنَّ زُورَقَنَا الصَّغِيرَ كَانَ وَحِيدًا . لَا أَثَرَ حَوْلَهُ لِلزُّورَقَيْنِ
الْآخَرَيْنِ . عَلَى أَنِّي لَمْ أَكُنْ خَائِفًا . كُنْتُ شَابًّا وَقَوِيًّا ، وَكَانَ حَنِينِي إِلَى الشَّرْقِ
قَدْ سَاعَدَنِي عَلَى أَنْ أَتَحَمَّلَ كُلَّ نِتْكَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي .

عِنْدَ سُكُونِ الرِّيحِ كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نُحَدِّثَ . وَكَانَ الزَّوْرَقُ يَبْدُو آتِدَاكَ
 سَاكِئًا فِي مَكَانِهِ لَا يَتَحَرَّكُ . أَتَذَكَّرُ الْحَرَارَةَ وَالْأَمْطَارَ الْغَزِيرَةَ الْمُفَاجِئَةَ ،
 وَأَتَذَكَّرُ كَيْفَ كُنْتُ أَجْدُفُ سِتَّ عَشْرَةَ سَاعَةً فِي الْيَوْمِ فِي بَحْرِ صَامِتٍ .
 أَتَذَكَّرُ مَلَامِيحَ مُسَاعِدَيَّ الْمُرْهَقَيْنِ الْمُكْتَئِبَيْنِ ، وَكَيْفَ أَنِّي أَحْسَسْتُ أَنَّ شَبَابِي
 سَيُخْرِجُنِي مِنْ كُلِّ تِلْكَ الْأَخْطَارِ وَأَهْوَالِ الْبِحَارِ . عَرَفْتُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ
 سَعَادَةً غَرِيبَةً ، فَقَدْ كُنْتُ أَعِيشُ عَلَى قَنَاعَةٍ مُظْفَرَةٍ أَنِّي سَأَنْتَصِرُ عَلَى الْبَحْرِ
 وَأَحْيَا .



وَلَيْكُمُ كَيْفَ أَتَذَكَّرُ الشَّرْقَ ! لَا أَرَاهُ زَوْرَقًا صَغِيرًا يَقْتَرِبُ مِنْ سِسْلَةٍ
مِنْ الْجِبَالِ الزَّرْقَاءِ تَشْرِبُ قِمَمَهَا الْأَرْجَوَانِيَّةُ إِلَى السَّمَاءِ أَرَى خَلِيجًا وَاسِعًا
يُؤَمِّضُ فِي الظَّلَامِ . وَأَرَى ضَوْءًا أَحْمَرَ بَعِيدًا يَشْتَعِلُ خَلْفَ الْأَرْضِ الْمُعْتَمَةِ
وَأَتَذَكَّرُ اللَّيْلَ الدَّافِيَّ الْوَدِيعَ ، وَنَسَمَاتٍ قَاتِي عَبْرَ سُكُونِ اللَّيْلِ حَامِلَةً عَبَقَ
لَأَزْهَارٍ وَأَرْيَجِ الْأَشْجَارِ ، فَإِذَا هِيَ أَوَّلُ مَا يُدَاعِبُ وَجْهِي مِنْ نَسَمَاتِ الشَّرْقِ .
ذَلِكَ لَا أَنْسَاهُ أَبَدًا .

جَذَفْنَا إِحْدَى عَشْرَةَ سَاعَةً قَبْلَ وُصُولِنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ إِلَى الْبَرِّ. رَأَيْنَا الضُّوءَ
الْأَحْمَرَ وَاتَّجَهْنَا نَحْوَهُ. وَقَدْ أَذْرَكْنَا أَنَّنَا نَتَّجِهُ إِلَى مِينَاءٍ صَغِيرٍ. وَعِنْدَمَا وَصَدْنَا
إِلَى رَصِيفِ الْمِينَاءِ كَانَ التَّعَبُ يُوشِكُ أَنْ يَقْتُلَنَا. أَفْتَتِ الرَّجُلَانِ اللَّدَانِ مَعِيَ
مَجَازِفَهُمَا وَارْتَمَيَا فِي قَاعِ الزَّوْرَقِ كَمَا لَوْ كُنَا مَيِّتَيْنِ.

رَبَطْتُ الزَّوْرَقَ إِلَى الرَّصِيفِ، وَجَسْتُ هُنَاكَ فِي حَالَةٍ مِنَ الْإِعْيَاءِ لَا
وَصْفَ خَا. وَلَكِنِّي كُنْتُ سَعِيدًا. أَحْسَسْتُ أَنِّي حَقَّقْتُ انْتِصَارًا شَخْصِيًّا.
وَكَأَنَّمَا كُنْتُ قَائِدًا لِجَيْشٍ مُطْفَرٍ.

أَعَادَنِي مِنَ أَحْلَامِ الْيَقَظَةِ صَوْتُ مَجَازِيفِ تَضْرِبِ الْمِيَاهِ. فَفَقَزْتُ وَاقِفًا
الْوَحْ بِإِدْيٍ لِلْقَارِبِ الْمُقْتَرِبِ وَأُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِي مُحْيِيًا.

جَاءَنِي صَوْتُ الْقُبْطَانِ يَرُدُّ عَنِّي نَحْيِي. لَقَدْ سَبَقْتُ رَوْرَقَهُ الْكَبِيرَ بِثَلَاثِ
سَاعَاتٍ. وَكُنْتُ سَعِيدًا أَنِّي رَأَيْتُ وَجْهَهُ وَسَمِعْتُ صَوْتَهُ. هَتَفَ بِصَوْتٍ مُتَعَبٍ
مُرْتَعِشٍ قَائِلًا: «أَهَذَا أَنْتَ يَا مَارْلُو؟»

صَحْتُ: «حَازِرُ حَاقَةِ الرَّصِيفِ. يَا سَيِّدِي.»

تَقَدَّمَ الزَّوْرَقُ عَلَى مَهْلٍ ثُمَّ تَوَقَّفَ إِلَى جَانِبِ الرَّصِيفِ. نَظَرْتُ إِلَى الْقُبْطَانِ
فَرَأَيْتُ عَجُوزًا مُخْدَوْدِبَ الظَّهْرِ. أَمَّا رِجَالُهُ فَكَانُوا جَمِيعًا فِي بَاطِنِ الزَّوْرَقِ
يَنَامُونَ نَوْمًا عَمِيقًا.

تَمَتَّمَ الْقُبْطَانُ: «لَقَدْ وَاجَهْنَا أَوْقَاتًا عَصِيَّةً جِدًّا. مَا هُونَ وَرَاءَنَا. كَيْسَ
بَعِيدًا عَنَّا.»

كُنَّا نَتَحَدَّثُ هَمْسًا وَكَأَنَّنا نَخْشَى إِيقَاطَ رِحَالِنَا ، مَعَ أَنَّ الْمَدَافِعَ
وَالزَّلَازِلَ لَمْ تَكُنْ لِتُوقِظَهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ .



تَلَفْتُ حَوْلِي وَأَنَا أَتَحَدَّثُ فَوْقَ عَيْنَايَ عَلَى ضَوْءِ سَاطِعٍ بَعِيدٍ يَشُقُّ لَيْلَ
الْبَحْرِ وَيَقْتَرِبُ مِنَ الشَّاطِئِ سَرِيعًا. قُلْتُ: «هَذِهِ سَفِينَةٌ بُخَارِيَّةٌ تَتَجَّهُ إِلَى
الْخَلِيجِ.»

قَالَ الْعَجُوزُ الْمُتَعَبُ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونَ سَفِينَةً إِنْكِلِيزِيَّةً. وَلَعَلَّهَا تَحْمِلُنَا إِلَى
مِينَاءٍ نَتَدَبَّرُ أَمْرَنَا فِيهِ.»

لَمْ أَسْتَطِعْ إِيقَاطَ بَحَارٍ مِنَ الْبَحَّارِينَ فِي زَوْرَقِي إِلَّا بَعْدَ أَنْ اسْتَعْمَمْتُ يَدَيَّ
وَقَدَمَيَّ دَفْعًا وَرَفْسًا. وَرُحْتُ أَنَا وَالرَّجُلُ نُجَدِّفُ صَوْبَ السَّفِينَةِ الْبُخَارِيَّةِ.



وَجَدْنَا قُبْطَانَ السَّفِينَةِ يُلْعَنُ حَظَّهُ الَّذِي أَوْصَدَهُ إِلَى خَلِيجٍ لَا ضَوْءَ فِيهِ .
لَكِنَّهُ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ غَضَبِهِ ، وَافَقَ عَلَى نَقْلِنَا فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ إِلَى مِينَاءِ
الْكَبَرِ .

عُدْنَا لِنَنْقُلَ النَّبَأَ السَّعِيدَ ، وَرَبَطْنَا الزُّورَقَ وَرِمْنَا .

اسْتَيْقَظْتُ فَوَجَدْتُ الصَّمْتَ مُخِيماً كَمَا كَانَ مُخِيماً عِنْدَمَا أَخَذْتُ إِلَى
النُّومِ . فَتَحْتُ عَيْنَيَّ وَبَقِيتُ سَاكِناً لَا رَغْبَةَ لِي فِي الْحَرَكَ . ثُمَّ بَدَأْتُ أَعْي
تَدْرِيجاً مَا حَوْلِي ، فَكَانَ أَنَّ أَذْرَكْتُ أَنَّ رَصِيفَ الْمِيناءِ يَعِجُّ بِالنَّاسِ .

حَدَّقْتُ فِي النَّاسِ الْمُتَجَمِّعِينَ ، فَرَأَيْتُ صَفًّا مِنْ عُيُونٍ سَوْدَاءَ وَوُجُوهِ
بُرُونِيَّةٍ وَسَمْرَاءَ وَصَفْرَاءَ خَالِيَةٍ مِنْ كُلِّ تَغْيِيرٍ . وَكَانَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَى الْقَوَارِبِ
وَالرُّجَالِ النَّائِمِينَ الَّذِينَ وَصَلُوا مَعَ اللَّيْلِ . وَبَدَأَ كُلُّ شَيْءٍ سَاكِناً لَا يَتَحَرَّكُ وَكَانَ
النِّسَاءُ مِنْ حَوْلِنَا حَبَسَتْ أَنْفُسَهَا .

نَهَضْتُ مُسْرِعاً ، فَبَدَرَ عَنِ الْجُمْهُورِ الْمُرَاقِبِ حَرَكَةٌ خَفِيفَةٌ ، ثُمَّ عَادَ
كُلُّ شَيْءٍ سَاكِناً كَمَا كَانَ .

أَذْكُرُ تِلْكَ الْوُجُوهُ ، وَأَذْكُرُ الْخَلِيجَ الْوَاسِعَ ، وَالزُّوَارِقَ الثَّلَاثَةَ بِحُمُولَتِهَا
مِنْ الرُّجَالِ الْفَاقِدِي الْوَعْيِ . كَانَ رَأْسُ الْقُبْطَانِ مُدَلَّى عَلَى صَدْرِهِ وَكَأَنَّهُ لَمْ
يَسْتَيْقِظْ أَبَداً . وَكَانَ وَجْهُ مَا هُونَ الْعَجُوزِ مُنْقَبِياً صَوْبَ السَّمَاءِ وَكَأَنَّهُ أُصِيبَ
بِرِصَاصَةٍ حَيْثُ كَانَ مُمَدِّداً .

كَانَ أَهْلُ الشَّرْقِ يَنْظُرُونَ مُحَدِّقِينَ فِي ذَلِكَ الْمَشْهَدِ . لَكِنَّهُمْ لَمْ يُقْدِمُوا
عَلَى مَا مِنْ شَأْنِهِ إِقْلَاقُ الرُّجَالِ النَّائِمِينَ الْآتِينَ مِنَ الْغَرْبِ .

ذَلِكَ مَا أَذْكَرُهُ مِنَ الشَّرْقِ . آه ! مَا أَجْمَلَ تِلْكَ الْأَيَّامَ ! مَا أَجْمَلَ تِلْكَ
الْأَيَّامَ ! الشَّبَابُ وَالْبَحْرُ . الْبَحْرُ الْوَدِيعُ الْقَوِيُّ ، الَّذِي يَهْمِسُ لَكَ حِينًا وَيُزْمِجِرُ
حِينًا آخَرَ . فَيَكَادُ يَقْطَعُ لَكَ أَنْفَاسَكَ .

نَلْنَا كُلُّنَا مِنَ الْحَيَاةِ قِشْطًا وَفِيرًا : الْمَالُ وَالْحُبُّ وَالسُّطَّانَ وَكُلَّ مَا يَسْعَى إِلَيْهِ
الْإِنْسَانُ فَوْقَ الْيَابِسَةِ . لَكِنْ خَبَّرُونِي ، لَمْ تَكُنْ أَجْمَلَ أَيَّامِنَا تِلْكَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا
شَبَابًا وَرُؤَادَ بَحَارٍ . شَبَابًا لَا نَمْلِكُ شَيْئًا ، رُؤْدَ بَحَارًا لَا تُعْطِي شَيْئًا ؟ أَلَيْسَتْ تِلْكَ
الْأَيَّامُ هِيَ الَّتِي تَفْتَقِدُونَهَا جَمِيعًا ؟

هَرَزْتُ خَمِيعةَ رُؤُوسٍ نَوْفِيقَةً رَأَيْتُ : رَجُلُ الْمَالِ ، رَجُلُ الْمُحَاسَنَةِ ، رَجُلُ
الْقَانُونِ . وَأَنَا وَكَانَتْ الطَّوَالِةُ الْبَرَّاقَةُ تَعْكِسُ صُورَةَ وُجُوهِهَا الَّتِي حَقَرَتْهَا
تَجَاعِيدُ لَسَانٍ . وَجُوهِهَا الَّتِي تَرَكَ الْكَدُّ وَالْأَلَاغِبُ وَاللَّحاحُ وَالْحُبُّ فِيهَا ثَآرًا .
وَتَعْكِسُ صُورَةَ عَيْنَيْنَا الْمُجْهَدَةِ الَّتِي كَانَتْ لَا تَرَاهُ تَحْتَ بِلَهْفَةٍ يَنْبُلُ شَيْءٌ مِنْ
هَذِهِ الْحَيَاةِ

مَا كُنَّا نُرَاحَهُ مِنْ دُنْيَا وَلِيٍّ مَعَ الشَّسْبِ لِقَوَايِي . وَمَعَ مَا وَلِيٍّ مِنْ قُوَّةِ
الْأُتْدَانِ وَسِحْرِ الْأَحْلَامِ .





جوزف كونراد

جوزف كونراد بولندي الأصل ، وُلِدَ في الثالث من كانون الأول (ديسمبر) ١٨٥٧ . قضى طفولته في روسيا مع والديه المنفيين ، وقد سببت صعوبات المعيشة هناك موته والديه ، ثم - بعد العودة إلى بولندا - موته والديه . وُضِعَ كونراد تحت وصاية عمه الذي أرسله إلى مدرسة في مدينة كراكوف ، تلقن فيها الألمانية والفرنسية واطلع على ترجمات بولندية لروائع الآداب العالمية ومن بينها آثار كبار الأدباء الإنكليز . أقنع عمه بالسماح له بالعمل كبَحَّارٍ ، فذهب ، عام ١٨٧٤ - وكان في السابعة عشرة - إلى مرسيليا وانضم إلى إحدى السفن التجارية .

أتاح له عمله في البحر السفر إلى مختلف أنحاء العالم ، فقد أخذته الأسفار إلى أميركا الجنوبية والشرق الأقصى والهند وأستراليا وإفريقيا . وأمدته خبرته في تلك الأماكن القصصية بالمادة التي شكلت خلفيات لما كتبه من قصص وروايات فيما بعد . ذهب إلى إنكلترا ، لأول مرة ، عام ١٨٧٨ ، وبدأ يعمل في سفن تجارية بريطانية بالرغم من عدم إتقانه اللغة الإنكليزية أول الأمر . ومع تقدّم السن تمكن من اللغة الإنكليزية وأجادها ، واكتسب الجنسية البريطانية سنة ١٨٨٦ . بعد ذلك بأربع سنوات قام برحلة إلى الكونغو كان لها أثر سيئ على صحته ، فعاد وقرّر الإقامة الدائمة في إنكلترا .

كُرسَ جوزف كُونَراد بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ لِتَأْلِيفِ الْقِصَصِ الْقَصِيرَةِ وَالرَّوَايَاتِ ، وَسَرُّعَانَ مَا
اَكْتَسَبَ مَكَانَهُ مَرْمُوقَةً بَيْنَ كِبَارِ أَدْبَاءِ اللُّغَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ . وَمِنْ أَشْهَرِ آثَارِهِ :

Heart of Darkness ، (١٩٠٠) Lord Jim ، (١٨٩٧) The Nigger of the Narcissus

The Secret ، (١٩٠٤) Nostromo ، (١٩٠٣) Typhoon ، (١٩٠٢) Youth ، (١٩٠٢)

Within the ، (١٩١٤) Chance ، (١٩١١) Under Western Eyes ، (١٩٠٧) Agent

. (١٩٢٠) The Rescue ، (١٩١٥) Victory ، (١٩١٥) Tides

تُوفِّيَ كُونَراد بِنُوبَةِ قَلْبِيَّةٍ ، سَنَةَ ١٩٢٤ ، وَكَانَ يَعْمَلُ عَلَى رِوَايَةٍ تَدُورُ حَوْلَ عَوْدَةِ
نَابُولِيُونِ مِنْ جَزِيرَةِ إِلْبَا .



كتب الفراشة - القصص العالمية

- | | |
|-----------------------------|----------------------------------|
| ١ - الدكتور جيكل ومستر هايد | ١٣ - حوّل العالم في ثمانين يوماً |
| ٢ - أوليفر تويست | ١٤ - رحلة إلى قلب الأرض |
| ٣ - نداء البراري | ١٥ - كنوز الملك سليمان |
| ٤ - موبى دك | ١٦ - سائلس مارثر |
| ٥ - البحار | ١٧ - شيرلي |
| ٦ - المخطوف | ١٨ - رحلات جليغر |
| ٧ - شبح باسكرفيل | ١٩ - بعيداً عن صخب الناس |
| ٨ - قصة مدينتين | ٢٠ - مغامرات هكلبري فين |
| ٩ - مونفليت | ٢١ - ديفيد كورفيلد |
| ١٠ - الشباب | ٢٢ - بليك هاوس |
| ١١ - عودة المواطن | ٢٣ - بلاك بيوتي |
| ١٢ - الفندق الكبير | |



كتب الفراشة

القصص العالمية ١. الشَّكَّابُ

إِخْتَارَت مَكْتَبَةُ لُبْنَانِ نَاشِرُونَ أَرْوَعَ الْقِصَصِ الْعَالَمِيَّةِ ، وَنَقَلَتْهَا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ مُبَسَّطَةً ، مُرَاعِيَةً الْأَمَانَةَ فِي النَّقْلِ وَالْمُحَافَظَةَ عَلَى جَزَالَةِ الْأُسْلُوبِ الْعَرَبِيِّ وَبِإِلَاحَتِهِ ، مَعَ تَشْكِيلٍ كَامِلٍ وَضَبْطٍ دَقِيقٍ . وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى هَذِهِ السَّلْسَلَةِ خُبْرَاءُ دَائِرَتِي النِّشْرِ وَالْمَعَاجِمِ فِي مَكْتَبَةِ لُبْنَانِ نَاشِرُونَ حَتَّى تُوفِّرَ لِلْقَارِئِ الْعَرَبِيِّ إِنتَاجًا فِكْرِيًّا مُتَفَوِّقًا مَظْهَرًا وَمَضْمُونًا .



مَكْتَبَةُ لُبْنَانِ نَاشِرُونَ



01C196810